

علم نفسك

٧

أعمدة الاقتصاد الأمريكي

للعالم الاقتصادي الأمريكي
فيكتور بيرلو

مع مقدمة للطالب الاجتماعي الكبير

الدكتور جورج حنا

دار العلم للملايين

بيروت

١٩٥٢

عَلِّمِ نَفْسَكَ

وليد

سلسلة كتب مبسطة لنشر الثقافة العامة
اختر موضوعاتها ونقلها الى العربية

منير البعلبكي

الطبعة الاولى

حزيران ١٩٥٢

مقدمة

بقلم الكاتب الاجتماعي الكبير
الدكتور جورج مهنا



الحقائق التي يكشف عنها هذا الكتاب يجعلها الكثيرون من الناس . هذا ما يجعله جديراً بالمطالعة لكي لا تبقى هذه الحقائق مجهولة .

ومما يزيد في قيمة الكتاب ، مجيئه في وقته . ومما يزيد في قيمته ايضاً ، ان مؤلفه اميركي ، والدار الناشرة (للأصل) اميركية ، والمستندات الواردة فيه مأخوذة من صحف اميركية وتقارير وضعها رجال السياسة وارباب العمل في اميركا نفسها . ومما يزيد في قيمة الطبعة العربية اكثر واكثر ، صدورها في الوقت الذي يشن فيه الاستعمار الاميركي معركته على العالم العربي وعلى زميليه ، الاستعمار البريطاني والفرنسي معاً .

وقد احسن المعرب اختيار الظرف المناسب لاصدار هذه الطبعة . فالظرف الذي تمر فيه الاقطار العربية ، والمسعبي التي تبذلها الولايات المتحدة ، لتقوية نفوذها في هذه الاقطار ، والمشاريع التي ادخلتها ، والتي تنوي ادخالها عن طريق الفرض المبتطن بغيره

انسانية تارة ، واجتماعية او دفاعية تارة اخرى ، اخفاء للغاية الاستثنائية الاستعمارية ، هدفها الاول والاخير ، يضاف الى ذلك الميوعة المتجلية في سياسة الحكومات العربية ، كل هذه الامور من شأنها ان تجعل من كتاب « اعمدة الاستعمار الاميركي » كتاب الساعة ، وتكسب معرفته فضلاً تعترف له به الشعوب العربية والشعوب المستعمرة والمستثمرة جمعاء .

لقد قرأت هذا الكتاب من الفه الى يائه . واني اتنى ان يقرأه كل قارئ عربي ، ويتمعن في محتوياته ، ثم يصدر حكمه على ضوء هذه المحتويات ، في الدعاوات التي تروجها المحافل السياسية الاميركية ، والدعاوات التي تسخرها هذه المحافل . ونحن على اكثر من اليقين ، انه لن يلبث عندئذٍ حتى يضع هذه الدعاوات على المحك ، ويعرف عثها من سميتها ، اذا كان فيها من سمين .

فمنذ وضعت الحرب الاخيرة اوزارها ، وخرجت منها اميركا باقل قسطٍ من الخسارة ، بالنسبة الى خسارة احلافها ، وجدت نفسها في مركزٍ يمكنها من فرض سيطرتها على من قبل منهم بالرضوخ لزعامتها ، ورأت المجال مفتوحاً امامها لتوسيع مدى استعمارها الاقتصادي على حساب هؤلاء الاحلاف الاتباع . زد على ذلك انقسام العالم بعد الحرب الى شطرين متباعدين ، او جبهتين مختلفتين في نظرتها الى الحياة من نواحيها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنظامية ، الواحدة اشتراكية يتزعمها الاتحاد السوفياتي والثانية رأسمالية تتزعمها الولايات المتحدة الاميركية . واذ رأت هذه الاخيرة ان الجبهة التي تتولى هي زعامتها آخذة بالتقلص

شيئاً فشيئاً ، وان اجزاء واسعة من العالم افلنت من قبضتها الاقتصادية ، لا سيما بعد نجاح الثورة الشعبية الصينية ، بدأت تفكر فيما قد يجرّه عليها هذا الوعي الجديد في الشعوب ، وفيما عساها ان تعمل لكي تحافظ على سيادتها الاقتصادية ، وتضمن لرساميلها حرية التحكم بالاسواق العالمية ، كما تضمن ايضاً استقرار الحالة المعيشية في بلادها . من هنا نشأت عندها الفكرة الاستعمارية التي يحمل لواءها ملوك المال والصناعة والتجارة ، والتي تتمر كز قيادتها في « الـ وول ستريت » .

ولكن الاستعمار لم يعد مهضوماً ولا مقبولاً عند الشعوب . حتى الحكومات التي تتحكم في شعوبها بقوة الاستمرار ، لم يعد بمقدورها خنق الروح التحررية الشعبية الوثابة بل لم يعد بمقدورها مواصلة تقديم العون للاستعمار . فالحكمة اذن تقضي بخلق صيغة جديدة تخدع الشعوب المطموح بها ، وما اكثر هذه الصيغ في جعبة المستعمرين . هذا ما يبيّنه بكثير من الجلاء هذا الكتاب .

اما الصيغة الجديدة التي خلقها الاستعمار الاميركي والتي اشرف على خلقها « الـ وول ستريت » فهي المساعدة للبلدان المتخلفة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، والوعود التي تضمنتها النقطة الرابعة من خطاب الرئيس ترومان ، والدفاع عن العالم الحر ، ومقاومة المباديء الشيوعية ، وما كان على ساكنا ذلك من ضروب الدجل السياسي ، التي اعتمدها السياسة الاميركية الجديدة لاطهار اميركا بمظهر الانساني المنقذ ، الذي يعمل لخير البشرية والسلام العالمي .

على انه فات السياسة الاميركية ان الوعي الشعبي بلغ حداً لم

تعد تنطلي فيه هذه الحيل على الشعوب . فالشعوب الاسيوية آخذة
بالتحرر من النير الاستعماري مقتديةً بالشعب الصيني . والشعوب
الافريقية ، الشمالية منها على الاخص ، تتحضر للوثوب . والشعوب
العربية التي اصبحت اليوم قبلة الاستعمار الاميركي ، بفضل كنوزها
النفطية الغنية ، ثائرة على الاستعمار وعلى عميلته وحليفته الرجعية
الوطنية . كل هذه الامور بدأت تقلق اميركا وملك رأس المال
الاميركي . فرأس المال الاميركي هو الموجه الاولي للسياسة
الاميركية ، بل قد لا يكون للسياسة الاميركية موجه سواه .
وان شئت برهاناً على ذلك فانك تجده فيما ستقرأ في هذا الكتاب
من تصريحات اقطاب السياسة والاعمال الاميركيين . اسمع ما
يقوله المستر اتشيسون ناظر خارجية اميركا في خطاب القاہ في آذار
عام ١٩٥٠ :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من
غير تعويض عادل (كذا) وان في ميسورهم ان يخرجوا ارباحهم
المشروعة ورأسمالهم من البلاد (يعني البلاد التي يوظفون فيها
رساميلهم) ، وأن تكون لهم حرية معقولة في ادارة اعمالهم في
حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي . » ثم يقول ايضاً :

« يجب علينا ايجاد المناخ الملائم لتوظيف الرساميل . »

والمناخ الملائم في عرف السياسة الاستعمارية ، كما دلتنا تاريخ
الاستعمار ، معناه التدخل في السياسات الوطنية وقمع الحركات
الشعبية تحت ستار المحافظة على الامن العام . وليس علينا ان نبعد
كثيراً لنرى امثلة عن ايجاد هذا المناخ الملائم عندنا . فلكي يكون

المناخ ملائماً لتوظيف الرساميل الاجنبية ، يسعى اصحابها اولاً
لاشراك اصحاب الرساميل الوطنية بقسط محدود من الارباح ، ثم
يسعون بنفوذهم ونفوذ شركائهم الوطنيين الى سن قوانين تساعد
على نشوء المناخ الملائم هذا ، ثم يتحالفون مع القوى الرجعية في
البلدان التي تطغى فيها رجعية الاقطاعية والدين ، ليشلّوا الحركات
التقدمية . وعندما تخونهم هذه المداورات يخلعون اقنعتهم ، وتثور
غيرتهم على الاستقرار والامن العام والسلام العالمي والمثل العليا ،
ويلجأون الى التهديد المقنع ثم التهديد المكشوف . يفعلون كل
ذلك لايجاد المناخ الملائم الذي تكلم عنه السيد اتشيسون ، والذي
نرى مسطرة عنه في بلادنا .

ثم اسمه يقول في خطاب له عن النقطة الرابعة ، بعد مقدمة
طويلة عريضة من الدعاية المألوفة : « احسب ان هناك فكرة سائفة
تذهب الى اننا سوف ننشيء مصانع كبيرة ومناجم لتلك الشعوب
المتخلفة اقتصادياً . فانا أعلن هنا ان ذلك غير صحيح » . فكأن
السيد اتشيسون اراد بذلك ان يطمئن اصحاب الرساميل الكبيرة
والصناعات الضخمة ، الى ان مشروع النقطة الرابعة لن يرتكب
جرمة ايجاد صناعات في البلدان التي يشملها ، بل يكتفي بارسال
خبراء يساعدون على خلق مشاريع زراعية ومائية وفتح طرق
وما اشبه ، تفسح للصناعة الاميركية مجال التصدير ويكون فيها
الخبراء سمسرة لرأس المال الاميركي . هذا ما لمسناه في الاتفاقات التي
عقدتها ويعقدونها ممثلو هذا المشروع مع حكومات الدول التي
وافقت عليه ومنها حكومتنا .

لقد كانت الحربان العالميتان الاولى والثانية ، عبارة عن تجارة رابحة لاميركا، استطاعت بواسطتها تقوية صناعاتها وتضخيم رساميلها فاكسبت بذلك الزعامة المالية والصناعية . وهي الآن لا يهمها شيء اكثر من ان تحافظ على هذه الزعامة باية وسيلة كانت ، حتى لو اقتضاها الامر زج العالم في حرب ثالثة . المهم ان تبقى لها هذه الزعامة ، التي تحدث عنها بوضوح Leo. D. Welch امين صندوق شركة ستاندرد للنفط في خطاب القاه سنة ١٩٤٦ جاء فيه :

« تلك التبعة هي الزعامة الايجابية القوية في شؤون العالم ، سياسية واجتماعية واقتصادية . ان من واجبنا ان نحققها باوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . ان علينا بوصفنا اكثر دول الارض انتاجاً واقواها رساميل واغناها بالصناعة الآلية ان نحزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيها على عاتقنا كوننا نملك غالبية الأسهم في تلك الشركة التي يطلقون عليها اسم العالم . وليس ينبغي ان يكون ذلك الى اجل مسمى . انه واجب سرمدى لا يجوز التفريط به .. »
(هتار يتكلم ...) ثم يخلص الى القول :

« والواقع ان سياستنا ائارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها بما كانت في اياما وقت مضى . وليس من ريب في ان احترام رساميلنا لا يقل اهمية (كان اقرب الى الصدق ان يقول : اكثر اهمية) عن احترام مبادئنا السياسية . »

ليس في هذا القول ما يعني ان السياسة الخارجية الاميركية هي طوع الرساميل الاميركية وتكيف بارادة ملوك

الوول ستريت وطبقاً لمصالحتهم ، ولو اذى ذلك الى اللجوء للقوة والحرب للمحافظة على زعامة اميركا التي هي بالفعل زعامة الوول ستريت ؟ هذا ما يجيب عليه المايجور جنرال سمدي بتار في مذكراته عن حياته العسكرية اذ يقول :

« لقد قضيت ثلاثة وثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي كنت في معظمها اشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى . »

لست انوي ان اجيء في هذه المقدمة على كل الشواهد والمستندات الدالة على ان السياسة الاميركية الخارجية اصبحت سياسة استعمارية مائة بالمائة . اني اترك للقارئ ان يتبين هذا لنفسه بعد قراءة هذا الكتاب . على ان ما اقصده هو ان يدرك بنو قومي دجل الدعايات التي يروجونها عن المساعدات الاقتصادية والنقطة الرابعة والثقافة الحرّة والمبادئ الانسانية ، والديموقراطية الصحيحة التي تدعي اميركا زعامتها والتي قالت فيها الكاتبة ماري ليز ، احدى زعيمات الحزب التقدمي الاميركي :

« لم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت . والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلل الغالية ، والفضيلة بالحرق البالية » .

مهما اجتهدت الدعاية الاميركية لتصوير اميركا بصورة الدولة المسالمة ، الراغبة في مساعدات الشعوب ، والعاملة في سبيل السلام العام ، ومهما انكرت هذه الدعاية كون اميركا دولة استعمارية ، ومهما

نثرت اميركا من وعود وعهود ، ومهما انفقت على دعايتها من اموال ، فالامر الذي لا تستطيع اخفائه عن الناس ، الا على من كان منهم فاقد البصر والبصيرة ، هو طغيان رأس المال الاميركي على السياسة الاميركية ولا سيما على السياسة الخارجية فيها ، كما انها لا تستطيع تبرير موقفها من الحركات التحررية في البلدان التي تطمع باستعمارها واستثمارها فعلياً ، ان لم يكن اسمياً ايضاً . ففي كل بلد من هذه البلدان تعتمد السياسة الاميركية الى مساعدة القوى الرجعية فيها ، فتهرع الى اسداء المعونة لها لوقف كل حركة شعبية تقدمية ، او وطنية تحررية . فيينا هي تصطنع الفيرة على حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها ، وبينما نسمع دعاواتها تشكو من الحكام الرجعيين في البلدان الاسيوية والافريقية والعربية ، وتتغنى بحرية الشعوب ، اذا بنا نراها تحضن تشان كاي تشك في الصين ، وسيفهان ري في كوريا ، وتقاتل الديكتاتوريين العسكريين في كل بلد منكوب بهم ، وتناصر مستعمري الهند الصينية وتونس والجزائر ومراكش ومصر ، وتحتل اليونان ، وتؤيد الحكومات المستبدة في تدابيرها القمعية لكل حركة نضالية شعبية ، متذرة بالمبادئ ، وهي ابعد ما يكون عن الاهتمام بالمبادئ (راجع ما ورد في هذا الكتاب من خطاب Leo D. Welch) يدفعها الى كل ذلك غيرتها الملحة في ان تضمن سلامة رساميلها ، وتحافظ على زعامتها للعالم الذي ابتكرت له اسم العالم الحر ، علّما تتمكن بذلك ان تصبح زعيمة العالم كله . فالهوس « الزعامي » آخذ منها كل مأخذ . واشد ما يبلى به العالم ان يبلغ هذا الهوس حداً يدفع اصحابه الى

الاقدام على حرب عالمية ، طمعاً بالابقاء على هذه الزعامة وتخليد
سرمديتها، كما صرّح علناً احد ملوك وول ستريت الآنف الذكر.
اننا اذ نقدم هذا الكتاب النفيس للعالم العربي ، نتمنى ان
يكون حافزاً لشعوب هذا العالم العزيز لكي تعي أمرها ، ولا
تقع في الاحبولة التي ينصبها لها الاستعمار ، فتضمن لنفسها السلامة ،
وتقف متحدة بوجه من يطمعون بها ، وتسمع الى شهادة شاهدٍ من
اهلهم ، ولا تقبل بان تكون كبش المحرقة في حربٍ يروج لها
دعاة الحرب وتجارها .

الدكتور جورج منا

١. نشوء الاستعمار الاميركي



ما هو الاستعمار؟ وما هو الاستعمار الاميركي، على الخصوص؟
أهو سياسة العصا الغليظة التي نادى بها ثيودور روزفلت*؟ أهو
الاستيلاء على المستعمرات؟ أهو حروب العدوان والتوسع
الاقليمي؟ أهو مشروع مارشال؟ أهو غزو الروح العسكرية
واضطهاد الزوج؟

هذه كلها من عناصر الاستعمار. إنها تؤلف السياسات والاعمال
الاستعمارية. ولكن الاستعمار شيء أكثر من ذلك. إنه مرحلة
تاريخية من مراحل الرأسمالية. والواقع ان جميع الاعمال
والسياسات تنبع من مرحلة التطور التي بلغتها الرأسمالية اليوم،
وهي اعلى مراحلها وآخرها.

لقد لخص لينين في كتاب له عوامل الاستعمار الاقتصادية
الرئيسية على الوجه التالي:

(١) «تركيز الانتاج ورأس المال الى درجة عالية جداً تؤدي
آخر الأمر الى نشوء احتكارات تلعب دوراً حاسماً في الحياة الاقتصادية.

* يقصد سياسة الشدة وقلة المرونة التي اتبعها هذا الرئيس الاميركي في
علاقاته مع دول اميركة اللاتينية وغيرها. [المعرب]

- (٢) اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي ونشوء
 الاوليجاركية المالية * على اساسٍ من هذا الاندغام .
 (٣) تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية .
 (٤) تشكيل الاحتكارات الرأسمالية الدولية التي تتوزع
 خيرات العالم في ما بينها .
 (٥) تقسيم العالم كله تقسيماً إقليمياً في ما بين الدول الرأسمالية
 الكبرى * * .

فالاستعمار هو تلك المرحلة من الرأسمالية التي تسود فيها هذه
 العوامل والتي يرجع تاريخها الى اوائل هذا القرن .
 ولكن من هم الاستعماريون الاميركيون ؟ ليس من ريب في
 ان الكثرة الغامرة من الاميركيين لا يد لها في الاحتكارات
 الصناعية والمالية على اختلافها . فالمواطن العادي لا يملك رأس مال
 يستطيع ان يصدّره أو يفيد منه بطريقة أخرى . إنه لا يشارك في
 المحالفات الاقتصادية الدولية وليس له نصيب في الفتوح الخارجية .
 إن الشعب الاميركي ليس استعمارياً . الاستعماريون هم تلك
 الحفنة القليلة من الرجال الذين يملكون اميركة ويسيطرون عليها .
 إنهم أمراء المال من مثل مورغان Morgan ، وروكفلر Rockefeller ،
 وميلون Mellon ، والبطانة التي تحيط بهم ، وبعض رجال السياسة
 وقادة الجيش ومحرري الصحف والمسؤولين عن شركات السينما

* الاوليجاركية نظام من الحكم تستند بالسلطة العليا فيه فئة قليلة جداً
 من المواطنين . [العرب]

*** Lenin, *Imperialism, The Highest Stage of Capitalism*,
 p.89, N. Y. 1939.

الذين يأثمون بأمرهم. ومع ذلك فليس الاستعماريون الاميركيون غير قلة قليلة جداً. إنهم لا يختلفون عن شعب الولايات المتحدة فحسب بل هم الداء اعداء هذا الشعب أيضاً. ومن عجب انهم يخلعون على سياستهم الاستعمارية اسم «السياسة الاميركية» وكأنها تعبير عن ارادة الشعب كله، وانهم يلبسون العدوان في الخارج لباس الدفاع عن هذه البلاد والحفاظ على حريات شعبها المسلم!..

جنود التوسع الاستعماري

والحق ان الاستعمار الاميركي لم ينشأ فجأة خلال نصف القرن الذي مضى. إنه ثمرة الاحداث التاريخية السابقة في الولايات المتحدة وفي العالم. فبعد انقضاء حرب الاستقلال أخذت الرأسمالية الاميركية في التوسع الاقليمي على حساب الهنود، والمكسيكيين، ومختلف الدول الاوروبية الاستعمارية. وهكذا أصبحت الولايات المتحدة دولة ضخمة قارية الاتساع، بعد ان كانت من قبل رقعة من الارض صغيرة تمتد على الساحل الشرقي.

وافتححت الحرب الاهلية عهداً جديداً. ففي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر نمت الصناعة في الولايات المتحدة بأسرع مما نمت في ايما بلد آخر. وفي حين توسع سادة الدول الاوروبية من طريق الاستعمار في ما وراء البحار والمحيطات، عني رأسماليو الولايات المتحدة بالتوسع داخل حدود بلادهم السياسية. فبدلاً من ان يلتمس مالكو المصارف والسكك الحديدية والفولاذ والنفط موارد لهم في ما وراء البحار انتزعوا الاراضي من الهنود،

وحرموا المزارعين حقهم في فك ممتلكاتهم المرهونة ، وامتصوا ارباحاً اسطورية من طريق تجارة الرقيق في الولايات الجنوبية . ليس هذا فحسب ، بل لقد استوردوا العمال من اوروبا بالملايين ، واستخدموا مئات الالوف من المكسيكيين والصينيين والفيليبينيين في انشاء السكك الحديدية والمزارع الرأسمالية في البقاع الجنوبية الغربية بأجور بخسة واحوال من العمل غير ملائمة . وفوق هذا كله شيّد الرأسماليون الاميركيون ثروتهم الأولى على آلام الملايين من الزوج الذين اختطفوا من ارجاء إفريقيا وآلام أبنائهم وبناتهم في الاجيال التي تلت .

وبينما كانت الرأسمالية الاميركية تتوسع في الداخل قادت عملية 'المنافسة' التي ينطوي عليها النظام نفسه الى نزعة جديدة هي جمع البيوت التجارية المتناحرة وتكثيلها في منظمة واحدة تحتكر المادة وتتحكم في تعيين اسعارها .

وحوالي سنة ١٨٩٠ انتهى نمو الاحتكارات المختلفة وتكثيلها الى ان يُنزل أذى كبيراً بمصالح العمال والمزارعين وصغار التجار . حتى اذا هاج الرأي العام هياجاً كبيراً اضطرت الحكومة الى إصدار قانون يضع حداً لجمع الشركات الاستثمارية الكبرى في ما يُعرف بالكتل المتحدة او التروستات Trusts ؛ ولكن هذا التشريع (وقد اطلق عليه اسم قانون شيرمن المضاد للتروست *)

* اعلن هذا القانون عدم شرعية « أي عقد أو اتحاد يتخذ شكل تروست أو أي شكل آخر ، أو أية مؤامرة من شأنها التضييق على الاتجار بين الولايات المختلفة أو بين الولايات المتحدة والدول الاجنبية . » [المعرب]

الرأسمالية في الولايات المتحدة كانت ولا تزال تمثل أقوى الجماعات الرأسمالية في البلاد ، أي الشركات الاحتكارية نفسها التي يُفرضُ فيها مكافحتها ...

أما اندغام رأس المال المصرفي برأس المال الصناعي فقد استهلّ بالدور الرئيسي الذي لعبه بيت مورغان الماليّ في تشكيل التروستات في حقليّ الفولاذ والمعدات الكهربائية ، والدور الذي لعبه بنك ميلون في تشكيل تروست الألومنيوم ، وإقبال آل ووكفر على شراء أسهم الـ « ناشيونال سيتي بنك » وسيطرتهم على الـ « تشايس ناشيونال بنك » . ولم تدخل سنة ١٩٣٠ حتى كانت هنالك ثماني مجموعات مالية ضخمة تسيطر على ٦٢ بالمائة من صناعات الولايات المتحدة الثقيلة ، ووسائل مواصلاتها ومصارفها ، كما جاء في تقرير رسمي أصدرته الحكومة الاميركية نفسها * .

وهذا الوضع قاد الى تجمّع الرساميل تجمّعاً فاحشاً في أيديّ قليلة جداً . وإذ كان قانون الرأسمالية هو الكسب المستمرّ فقد تعيّن على الشركات الاحتكارية أن تبحث عن حقول جديدة توظف فيها رساميلها الفائضة . ومن هنا التمس اصحاب الرساميل المالية الاميركية مصادرَ للربح خارج حدود الولايات المتحدة القاريّة . وهكذا اخذت الولايات المتحدة تصدر رأس المال الى البلدان الاجنبية وهي التي كانت من قبلُ بلداً يستورد رؤوس

* U. S. National Resources Committee, *The Structure of the American Economy*, Part I, p. 317, Washington, 1939.

الأموال من الخارج .

ولم تكد الشركات الاميركية تغزو البلدان الاجنبية حتى عملت على اقتسام الممتلكات والأسواق فيما بينها وبين زميلاتهما الأوروبية . فمنذ اوائل القرن الحالى اقتسمت كتلة رو كفاير المتحدة منابع النفط المعروفة آنذاك واسواقه العالمية فيما بينها وبين شركات روتشيلد ونوبل . كما اقتسمت شركة « جنرال ايلكترىك » التي يسيطر عليها بيت مورغان المالى اسواق المعدات الكهربائية في العالم مع شركة « جنرال ايلكترىك » الألمانية المعروفة بالـ A.E.G. .

ويقضى منطق الاستعمار بأن تستتبع السيطرة الاقتصادية سيطرةً سياسية وعسكرية . فلا عجب اذا ما وجدنا الدول الاستعمارية الكبرى تسارع ، خلال النصف الاخير من القرن التاسع عشر ، إلى بسط سلطانها السياسي والعسكري على مناطق مختلفة من العالم لكي تمكثن شركاتها الاحتكارية من استثمار تلك المناطق على هواها . ولم يكد ذلك القرن يؤذن بالانصرام حتى كانت الدول الأوروبية قد استعمرت بصورة رسمية كامل افريقية تقريباً والشرق الاقصى باستثناء الصين ، في حين امست الصين نفسها ، وسائر آسية ، واميركة اللاتينية مناطق نفوذ للرساميل الأوروبية . اما الولايات المتحدة فلم تهيمن ، قبل سنة ١٨٩٨ ، إلا على آلاسكا ، وهاواي ، وجزء من جزائر ساموا .

وهكذا نجد ان عوامل الاستعمار الرئيسية الخمسة التي نص عليها لينين قد نشأت في الولايات المتحدة وكان نشوؤها على نطاق

عالميّ . وتلك هي جذور سياسات الحرب والكسب في الخارج ،
والرجعية والتعصب القومي في الداخل ، هذه السياسات التي تعتبر
من أبرز خصائص الاستعمار ومميزاته . وقد مهّد هذا كله السبيل
امام كايزر ، وسيسل رودس ، وثيودور روزفلت وغيرهم من
بناة الامبراطورية الاميركية الذين كانوا يمثلون الجبهة السياسية
للساميل المالية .

والواقع أن عضو مجلس الشيوخ ألبوت بفريدج ، أحد دعاة
الاستعمار الاميركي الأولين ، وصف سياسة التوسع هذه حين قال
في خطاب القاہ سنة ١٨٩٨ :

« إن المصانع الاميركية تنتج اليوم اكثر مما يستطيع الشعب
الاميركي ان يستهلك ، والتربة الاميركية تنتج كذلك اكثر مما
نستطيع ان نستهلك . ومن هنا نرى ان القدر قد رسم لنا سياستنا :
إن تجارة العالم يجب أن تكون بيدنا ؛ وليس من شك في اننا
سنستولي عليها كما علمتنا أمنا ، انكثرة ، أن نفعل . وسوف
نشيء قواعد تجارية في ارجاء العالم كله لتوزيع المنتجات الاميركية .
وسنملأ ماء المحيط باسطولنا التجاري . وستنهض حول مراكز
تجارتنا مستعمرات كبرى تحكم نفسها بنفسها ولكنها ترفع علمنا
وتتاجر معنا . . . * »

وليس من شك في أن العمال في المصانع والمزارع الاميركية
لم ينتجوا ، في يوم من الايام ، ما يسد حاجة الشعب . واكبرهم
انتجوا خلال الخمسين السنة الماضية اكثر بكثير مما أجلزت الرأسمالية

* Quincy Howe , A World History of Our Own Times,
pp. 128-29, N.Y., 1949.

للشعب. أن يستهلكه . والمحاولة ' الاستعمارية لحلّ هذا التناقض إنما تتمثل في ما اقترحه بيفريدج الناطق باسم الرأسمالية .

طرائق التوسع الاستعماري

لقد نشي الشعب الاميركي على الاسطورة القائلة بان جيوش الولايات المتحدة غير عدوانية nonaggressive ، وان المشاريع التجارية الاميركية تغزو العالم من طريق المنافسة السلمية وخدمة المستهلكين . وانما اهدف في هذا الكتاب الى تقويض هذه الاسطورة واصفاً طرائق العمل التي تصطنعها بيوتات وول ستريت * Wall Street وصفاً تفصيلاً دقيقاً .

والحق ان استخدام القوة العسكرية استخداماً عدوانياً كان ولا يزال هو الوسيلة الرئيسية التي تعتمد عليها الولايات المتحدة في توسعها الاستعماري . ففي سنة ١٨٩٨ شنت الولايات المتحدة حرباً استعمارية لإعادة تقسيم العالم ؛ وكانت هذه الحرب ثانوية خاضتها ضد عدوٍ مستضعف ، هو اسبانية . ومع ذلك فقد كانت غنيمتها

* حي المال في مدينة نيويورك وهو يسيطر كما سنرى على الحياة الاقتصادية والسياسية في الولايات المتحدة سيطرةً شبه كاملة . يدلك على ذلك ما قالته ماري ليز احدى زعميات الحزب الشعبي Populist Party المطالب بحقوق المزارعين : « ان وول ستريت يملك هذه البلاد . فلم تعد حكومتنا حكومة الشعب بواسطة الشعب ولمصلحة الشعب ، بل حكومة وول ستريت بواسطة وول ستريت ولمصلحة وول ستريت . . . والواقع ان قوانيننا هي نتيجة مسلك من شأنه ان يكسو الرذيلة بالحلم الغالية ، والفضيلة بالخرق البالية . »

[العرب]

ضخمة هائلة : - استولت على الفيليبين وبورتوريكو ؛ وسيطرت بصورة غير رسمية على كوبا ؛ وكسبت منطقة نفوذٍ واسعة تشمل القسم الشمالي من اميركة الجنوبية وكامل اميركة الوسطى ؛ وبسطت سلطانها العسكري على بحر الكاريبيان وعلى كثير من القواعد المهمة في المحيط الهاديء . ليس هذا فحسب ، بل لقد امتد نفوذ الولايات المتحدة المتعاضم ، منذ ذلك الحين ، تعاظماً كبيراً الى بلدان اميركة اللاتينية حيث كانت الرساميل البريطانية والفرنسية هي صاحبة اليد العليا .

ولم تكن الحرب ضد اسبانية غير بداية متواضعة . ذلك بان شعوب تلك البلاد التي بسطت اميركة سلطانها عليها لم تكن راغبة في ان تستبدل بمستثمريها الانكليز او الاسبان مستثمرين جدداً من وول ستريت . فما كان من امراء الاستعمار الاميركي إلا ان خاضوا غمرات الحروب العدوانية او التدخل المسلح ضد شعوب الفيليبين ، والمكسيك ، وكوبا ، ونيكاراغوا ، وباناما ، وهايتي ، وكولومبيا ، والجمهورية الدومينيكية ، وكوستاريكا ، وهوندوراس ، والصين .

وإنما يتجلى الدور الذي لعبته القوة العسكرية في تدعيم سيطرة وول ستريت الاقتصادية على البلدان نصف المستعمرة في هذه الكلمات التي لخص فيها الميجور جنرال سمبلي بتار حياته العسكرية : « لقد قضيت ثلاثة و ثلاثين عاماً في خدمة جيشنا الاميركي ، كنت في معظمها أشبه بقاطع طريق يعمل لمصلحة وول ستريت والشركات والمصارف الكبرى ... »

وهكذا ساعدتُ على جعل المكسيك مكاناً آمناً لشركات
البتروال الاميركية ، سنة ١٩١٤ ؛ وعلى جعل هايتي و كوبا ارضاً
يستطيع الـ « ناشيونال سيني بنك » استغلالها . . . ومهدتُ السبيل
أمام بنك الاخوة براون لاستثمار نيكاراغوا سنة ١٩٠٩-١٩١٢ .
وفتحتُ ابواب الجمهورية الدومينيكية في وجه شركات السكر
الاميركية ، سنة ١٩١٦ . . . أما في الصين فقد ساعدتُ شركة
ستاندرد أويل على أن تشق طريقها ، سنة ١٩٢٧ ، في سهولة
و يسر . * «

وإذا كانت الامبراطورية الاميركية قد استهلت حياتها بالحرب
والعدوان فقد حققت نموّها الأعظم بالطريقة الدائمة نفسها .
والواقع ان جميع ما كسبه الاستعمار الاميركي بعد ذلك ، تقريباً ،
ناشئ عن الدور الذي مثلته في الحربين العالميتين الاولى والثانية
وعن اعمالها وتهديداتها العسكرية في السنوات التي عقب الحرب
العالمية الثانية .

ولكن التوسع الاميركي لم يُحَقِّقْ كله بالطرائق العسكرية .
فقد لعب الضغط الاقتصادي دوره المهمّ في ذلك أيضاً . وهذا
الضغط يشمل ، في ما يشمل : (١) تقديم القروض الى البلدان
المستضعفة والتي خربت بها الحرب ، بشروط مناسبة للشركات
الاميركية . (٢) عقد الاتفاقات التجارية التي تحظر حماية الصناعات
في الدول المستضعفة من خطر الاحتكارات الاميركية الضخمة .
(٣) منع السفن من السفر الى بعض البلدان وشنّ الحرب على

* Smedley D. Butler in *Common Sense*, Nov., 1935.

علامتها الرسمية . (٤) تقوية العناصر الرجعية في البلدان الأخرى لكي تستطيع خدمة مصالح وول ستريت الواسعة . (٥) عقد المعاهدات التي تمكن الشركات الأميركية من الاستيلاء على موارد الشعوب الأخرى استيلاءً غير محدود . (٦) التدخل الديبلوماتي لانتزاع الامتيازات لمصلحة شركات أميركية بعينها . (٧) تعيين المستشارين الماليين الأميركيين وجامعي الضرائب ابتغاء السيطرة على مالية البلدان الضعيفة .

وطبيعيّ أن تسير الطرائق العسكرية والطرائق الاقتصادية جنباً إلى جنب . ذلك بأن قوة الاستعمار الأميركي الاقتصادية تقدّم الأساس الذي تقوم عليه قوته العسكرية . في حين أن الضغط الاقتصادي أو الديبلوماتي لا يجدي إلا إذا دَعِمَهُ تدخل عسكريّ أو تهديد باللجوء إلى مثل هذا التدخل . وهكذا تلتقي جميع الأساليب في خطة توسعية عامة تكون « سلمية » حيناً ، وشبه حربية حيناً ، ولكنها موجهة أبداً ضد شعوب البلدان التي يتفق أن تقع ضحية المطامع الأميركية .

وتتعاون الكتل الاحتكارية المتحدة أو التروستات أوثق التعاون مع الحكومة المركزية على تحقيق هذا البرنامج . والواقع أن الشخصيات السياسية والعسكرية كثيراً ما تتناوب المناصب الكبرى في وول ستريت وواشنطن . وهكذا نرى الدوائر الحكومية تتولى زمام السلطة الاقتصادية في بعض الأوقات ، على حين تمارس البيوتات المالية الكبرى هذه السلطة ، بصورة مباشرة ، في أوقات أخرى . أما السلطة العسكرية فتمارسها الحكومة عادةً ،

ولكن بعض الشركات الكبرى قد تمارسها أحياناً بصورة مباشرة من طريق القوى المسلحة والحكومات المطواعة التي تقيمها في البلدان الخاضعة لسلطانها .

والحق ان استراتيجية الولايات المتحدة الاستعمارية إنما أريد بها ان تحقق أهدافها بأدنى ثمن ممكن وذلك من طريق تسخير الحلفاء ، ورشوة الأعداء . إنها توجّه ضربتها ، في المحلّ الأول ، الى جماعات الشعب العاملة والى الحركات التحرّرية الوطنية في البلدان المستعمرة ونصف المستعمرة . إنها تتحالف مع أكثر الطبقات رجعيةً في تلك البلاد ، ومع طبقة الاقطاعيين عادةً ، كما تتحالف مع الدول الاستعمارية المنافسة لها أيضاً . وأكثر هذه المحالفات استمراراً التحالف الانكليزي الاميركي الذي لعب دوراً بارزاً في الحرب الاسبانية الاميركية ، وفي الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وفي السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية .

أشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري

يؤمن المدافعون عن وول ستريت ان الولايات المتحدة ليست دولة استعمارية لأنها لا تملك امبراطورية استعمارية ضخمة كالامبراطورية البريطانية . وإنه في الواقع لدفاعٍ خاسرٍ يحاول أن يخلط ما بين الشكل والجوهر . ذلك أن جوهر الاستعمار هو فرض السيطرة العسكرية والسياسية والاقتصادية على الشعوب المستضعفة . أما أشكال الاستعمار فتشمل ضم البلد المغلوب على أمره الى أراضي البلد الفاتح ، وإنشاء المستعمرات ، وإقامة الحكومات

المستقلة اسمياً والخاضعة للدولة الاستعمارية عملياً . وهذا الخرب
الاخير هو شكل الحكم نصف الاستعماري .

وهناك بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات أشكال انتقالية
مختلفة ، منها الانتداب ، والوصاية ، والدومنيون . وحتى الفارق
الرسمي بين المستعمرات وأنصاف المستعمرات ليس كبيراً دائماً .
وهكذا نجد البريطانيين يلجأون في مستعمراتهم الى الاستعانة
بالقوات الوطنية وبالامراء الوطنيين والمجالس المحلية ما دام هؤلاء
دُمى متحركة في أيديهم ، فعلى الولايات المتحدة في أنصاف
المستعمرات الخاضعة لها . بل إن شكل الحكم الاستعماري ليس
دائماً اكثر استبداداً ولا أبشع استغلالاً من شكل الحكم نصف
الاستعماري . ومن هنا نرى أن الوضع السياسي والاقتصادي
والاجتماعي لسكان المستعمرات البريطانية في جزائر الهند الغربية
ليس على التحقيق اسوأ من وضع سكان أنصاف المستعمرات
الاميركية في اميركة الوسطى ومجر الكاريبيان .

وليس من ريب في أن الولايات المتحدة عملت على انتزاع
المستعمرات بالقسوة نفسها التي تصطنعها الدول الاوروبية ، حينما
وجدت ذلك مناسباً وميسوراً ، شأنها في بورتوريكو ، وهاواي ،
والجزر العذراء ، وآلاسكا ، ومختلف جزر المحيط الهادي ، وحتى
وقت قريب في الفيليبين . وبعد الحرب العالمية الثانية فقدت
الولايات المتحدة جزءاً من امبراطوريتها الاستعمارية نتيجة منحها
« الاستقلال » للفيليبين ، ولكنها توسعت بالفعل ، بما ضمت اليها
من جزائر مختلفة في المحيط الهادي ، وتوسعت ، بالقوة Potentially ،

من طريق احتلالها المانية الغربية واليابان احتلالاً عسكرياً .
بيد أن الاستعمار الاميركي لم يلجأ ، في معظم البلدان التي
خضعت له ، الى أشكال الحكم الاستعمارية ، لان شكل الحكم
نصف الاستعماري المستقل استقلالاً اسمياً أثبت انه اكثر مرونة
وأدعى الى اعطاء الاستعمار الاميركي ميزةً على الاستعمار الاوروبي
المنافس . أضف الى ذلك ان امراء وول ستريت الاستعماريين
اضطروا الى ان يُدخلوا في حسابهم تقاليد الشعب الاميركي
الديموقراطية ، هذا الشعب الذي اشترى حريته بما سفك من دماء
في حرب ثورية شنها على مستعمره ؛ وان المزارعين والطبقات
الوسطى من اهل المدن أخذت تقاوم ، في العقود الاخيرة من
القرن التاسع عشر ، سلطان وول ستريت وشركائه الاحتكارية
الجشعة .

وهكذا آثر الاستعمار الاميركي ان يصطنع اشكالا جديدة
من الحكم الاستعماري وعمد رجاله الى تضليل الرأي العام فقالوا
ان هذه البلاد، الولايات المتحدة، لا تطمع في مغنم اقليمية، ولكنها
حريصة على رفاهية الشعوب الخاضعة لسلطانها ، ليس غير !

ومنذ الحرب العالمية الثانية وامراء وول ستريت يُفيدون
إفادة خاصة من هذه النعمة اللاستعمارية المضللة . إنهم يحاولون ان
يتوسعوا ، تحت هذا القناع ، في كل مكان . وان واشنطن تسعى
الى استغلال حركة التحرير المضطربة نيرانها في آسية كلها ، كما
استغلت قبل خمسين سنة نزعات التحرر في المستعمرات الاسبانية .
ومن سنة ١٩٤٥ الى سنة ١٩٥٠ والحطة الاميركية الرئيسية

تقوم على مدّ المستعمرين الهولنديين والفرنسيين والبريطانيين بالمال والسلاح ابتغاء القضاء على حركات التحرر الوطني في المستعمرات في حين تقضي بالعمل من وراء حجاب على إنشاء حكومات «مستقلة» تنبري لانتقاد البلاد من الشركات الاستعمارية الأوروبية وإحلال الشركات الاميركية محلها . وقد استعملت طرائق مشابهة في اوروبا التي غدت اليوم هدفاً مباشراً من اهداف وول ستريت الكثيرة .

حتى اذا كانت سنة ١٩٥٠ صار اصطناع هذه الاساليب أمراً اكثر صعوبة وأشدّ عُسرًا . ذلك بان شعوب البلدان المعنية ما عادت 'تخضع باقنعة الاستعمار على اختلافها . وفي آسية على الخصوص عززت هذه الشعوب تنظيمها وقوتها العسكرية ورفعت النضال التحريري الوطني في سبيل الارض ، والقدر الكافي من الطعام ، والاستقلال الصحيح الى درجة عجزت معها الحكومات العاملة بوحى الاستعمار عن الصمود في الميدان فاذا هي تبدو على حقيقتها من الافلاس والفساد . وهكذا دشنت اميركة خطة توسعية جديدة ، في كوريا ، فاستخدمت قواتها المسلحة ، تعاونها قوات الدول الأوروبية الاستعمارية ، بوصفها الأداة الرئيسية لفرض الاوضاع الاستعمارية وتخليدها أبد الدهر .

٢. امبراطورية وول ستريت ...



كثيراً ما تُسمع في غرف اللجان البرلمانية بواشنطن شهادات صريحة حول الاحتكارات الضخمة والمشكلات التي يواجهها صغار التجار ، فينبوري يمثلو الامة الى الهجوم على تلك الكتل الاحتكارية وأساليبها في العمل ، ويصورون المصير المحزن الذي ينتظر صغار التجار ، حتى إذا خيّل لهم أنهم أروضوا رغبات الرأي العام وجعوا الى جدول الاعمال فأقروا مجموعة من التشريعات الموحى بها من تلك التروستات نفسها ...

ومهما يكن من أمر فان هذه المناقشات تمرّ من الكرام باخطر ما تقوم به هذه التروستات الكبرى من نشاط ، أعني مناوراتها الدولية الخطيرة . فيينا تجد عدداً من رجال الكونغرس يجادلون هذه التروستات في بعض مشاريعها الداخلية نوى قليلاً منهم يجراون على خذلانها في مصالحها الخارجية التي تجلّلت عادةً بالراية الاميركية . وعضو مجلس الشيوخ الذي يصوت ، يوم الاثنين مثلاً ، ضد التروستات العملاقة هو نفسه الذي يعطي صوته ، يوم الثلاثاء ، لامبراطورياتها العالمية الواسعة باسم « المعونة الدولية » او « الدفاع الوطني » .

و الواقع انه ليس في حقل « الشؤون الخارجية » او « السياسة العسكرية » ما لا يتصل بأخص مصالح الشركات المتكثلة وأجشعها . ففي جميع اجزاء العالم ، من تشيلي الى غواتيمالا ، ومن اليونان الى المانية ، ومن كوريا الى ليبيريا ، حيث تتدخل الحكومة الاميركية عسكرياً او دبلوماسياً باسم « الحرية » او « مقاومة الشيوعية » يكون الدافع الحقيقي هو النحاس او الفاكهة ، النفط او الصناعة الثقيلة ، الذهب او المطاط ...

والسدج من الاميركيين الذين يعتقدون أننا لا نملك امبراطورية استعمارية ضخمة يدسون ان شركاتنا الاستثمارية تملك اضخم امبراطورية مالية عرفها التاريخ . وان الغرض الذي تهدف اليه سياسة الحكومة عندنا هو توطيد سلطانها السياسي وتوسيع رقعته لكي تمكن من وراء ذلك لهذه الامبراطورية المالية وتزيدها قوةً وبسطةً .

وإذا كانت الصناعة الاميركية مصفدة بأغلال الاحتكار فإن تصدير رأس المال الى البلدان الاجنبية خاضع لاحتكار أدهى وأمر . وتفصيل ذلك أن بضع مئات من الشركات تسيطر على الاقتصاد الوطني في داخل الولايات المتحدة . ولكن قلة قليلة من هذه الشركات تملك من القوة الاقتصادية والسياسية ما يمكنها من ان تمتزج بملكات اجنبية واسعة ، وتحصل على الارباح الخاصة التي تنشأ عن انخفاض مستوى الأجور في المستعمرات والبلدان الاجنبية ، وتتخلص من مزاحمة الشركات البريطانية والالمانية وغيرها من التروستات الاستعمارية وتميمن على الحياة السياسية في بلدان برمتها

كجزء لا يتجزأ من الخطة الرامية الى فرض السيطرة الاقتصادية عليها .

ففي سنة ١٩٤٣ كانت ثمة مائة شركة اميركية كبرى تملك ٧٠٪ من موجودات مختلف المشروعات الخارجية التي تسيطر عليها الولايات المتحدة * . ولكن امواج السياسة الدولية كانت أعتى من ان تطيقها معظم هذه الشركات في ما بعد الحرب العالمية الثانية . وفي سنة ١٩٤٧ استأثرت عشر شركات بتصدير ما يزيد على ٧٥٪ من الرساميل الجديدة الى البلدان الاجنبية ** .

وليس من ريب في ان حاجات هذه التروستات العشر ومطالبها مسؤولة الى حد بعيد عن مختلف التطورات التي طرأت على السياسة الخارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية . وإذن فمن الضروري ان ندرس المركز العالمي الذي تتمتع به كبريات الشركات الاميركية واقتسامها الصناعة والموارد العالمية في ما بينها وبين زميلاتها البريطانية والهولندية والفرنسية وغيرها . وإنما يتجلى اقتسام العالم وتوزعه بين التروستات الكبرى اوضح ما يتجلى في المواد الصناعية الأساسية : النفط والمعادن . وهذه المنتجات تُستخرج (وتصفى في بعض الاحيان) في المستعمرات وأنصاف المستعمرات ثم تُحمل الى المراكز الامبراطورية حيث تُعدّ في اشكالها النهائية ومن ثم تُباع في الاسواق العالمية . .

* U. S. Treasury Dept., *Census of American-Owned Assets in Foreign Countries*, p. 29, 1947.

** U. S. Dept. of Commerce, *Survey of Current Business*, Nov., 1949, p. 20.

شركات النفط المتحدة تقسم العالم في ما بينها

تحتل شركة ستاندرد أوويل (نيو جيرزي) أكبر جزء من امبراطورية رو كفار النفطية. وقد أنتجت هذه الشركة أو سيطرت على خمس ما انتجه العالم الرأسمالي كله من النفط في سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٤٩ تقريباً. والحق أنها أصدرت سنة ١٩٤٩ خريطة للعالم تمثل مناطق إنتاج النفط الأربع عشرة التي تهيمن عليها، ومواقع مصافيها الأربعين، وعدد لا يحصى من أسواقها الواسعة. وقد تعجب إذا علمت أن المناطق المظللة باللون الأخضر والتي ترمز إلى أسواق هذه الشركة العالمية تمثل مواطن يبلغ مجموع سكانها ١,٦٧٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة أي ٧٢٪ من مجموع سكان العالم كله. وإذا استثنينا من هذه الرقعة الجزء الأكبر من الصين وشمالي كوريا، بلغ مجموع سكان الأسواق التي تسيطر عليها شركة ستاندرد أوويل أوف نيو جيرزي ١,٢٦٢,٠٠٠,٠٠٠ نسمة أو ٨٠٪ من السكان في العالم الخاضع لسلطان الرأسمالية.

واليك فيما يلي جدولاً بيانياً بأسواق هذه الشركة الهائلة ونسبتها إلى أسواق الشركات الرأسمالية مجتمعة، كما كانت سنة ١٩٤٩ :

عدد السكان (بالملايين)

مناطق شركة ستاندرد أوويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصّة ستاندرد أوويل من المجموع
أميركة الشمالية بكاملها	١١٣	٥٥ بالمائة
الولايات المتحدة وحدها	٧٤	» ٥٢
أميركة الجنوبية	٩٦	» ٩٣
أوروبا	٢٣٩	» ٨٠

مناطق شركة ستاندرد أويل	مجموع مناطق الشركات الرأسمالية	حصة ستاندرد أويل من المجموع
آسية	٧٦٧	٩٤ بالمائة
أوقيانوسية	١٢	» ١٠٠
إفريقية	١٨٨	» ٤٥
العالم (الرأسمالي)	١٥٧٣	» ٨٠

ولا تنفرد شركة ستاندرد أويل بحق العمل في معظم هذه المناطق. فهي تتقاسمها مع واحدة أو أكثر من التروستات الأخرى ، على أساس من توزيع الاسواق وتحديد الأسعار بالاتفاق . والواقع ان العالم الرأسمالي تكاد تتوزعه كله سبع من تروستات النفط ، يملك آل روكفلر ثلاثاً منها ، ويملك « ميلون » Mellon واحدة ، وتملك الخامسة شركات أميركية أخرى ، اما السادسة فبريطانية ، واما السابعة فبريطانية هولندية . *

وقد تنفرد كل من هذه التروستات في العمل حيناً . فشركة ستاندارد أويل (نيوجيرزي) مثلاً تسيطر على انتاج البترول في كولومبيا بواسطة شركة مساعدة هي التروبيكال أويل كومباني . وقد تنهض ببعض المشروعات الأخرى شركات خاصة تندمج فيها مصالح اثنتين أو أكثر من الكتل السبع الكبرى . وهكذا فان امتياز النفط في المملكة العربية السعودية تملكه شركة البترول

* وهذه التروستات السبع هي : (١) ستاندارد أويل اوف نيو جيرزي (روكفلر) (٢) شركة شل (رساميل هولندية بريطانية) ؛ (٣) شركة النفط الانكوا ايرانية (بريطانية) ؛ (٤) شركة سوكوني فاكيوم (روكفلر) ؛ (٥) شركة تكساس (روكفلر ، ومورغان ، وغيرهما) ؛ (٦) ستاندرد أويل اوف كاليفورنيا (روكفلر وغيره) ؛ (٧) شركة نفط الخليج (ميلون) .

العربية الاميركية (آرامكو) التي تسهم فيها اربع من شركات الولايات المتحدة الكبرى * وهذه الشركات الاربعة تجتمع مع مجموعة شل الهولندية في شركة خاصة تملك امتياز النفط في غينيا الجديدة . في حين تجتمع شركة نفط الخليج وشركة النفط الانسكو ايرانية في شركة بترول الكويت .

وفي سنة ١٩٣٩ كانت هذه الشركات السبع تهيمن على ثمانين بالمائة من مجموع انتاج البترول خارج الولايات المتحدة والمكسيك والاتحاد السوفياتي . وقد تعاظمت حصتها منذ ذلك الحين .

شركات المعادن الدولية

وتتوزع انتاج النحاس في العالم الرأسمالي ثلاث شركات اميركية كبرى وعدد من الشركات البريطانية والبلجيكية . اما الثلاث الاميركية الكبرى (شركة آنا كوندا للنحاس Anaconda Copper وشركة كنيكوت للنحاس Kennecott Copper وشركة فلبس دودج Phelps Dodge) فتسيطر على ثلاثة ارباع احتياطي النحاس في الولايات المتحدة ، وعلى ثلث النحاس في العالم الرأسمالي خارج الولايات المتحدة .

ويؤخذ من تقرير اصدرة لجنة التجارة الفدرالية ان ثمة ستة رجال « يسيطرون بصورة مباشرة او بصورة غير مباشرة على سياسة انتاج النحاس العالمي وتقرير اسعاره » * واليك اسماء هؤلاء

* من ستاندرد اويل (كاليفورنيا) وشركة تكساس ، وستاندرد اويل (نيو جيرسي) ، وشركة سوكوني فاكم .

« Report of the Federal Trade Commission on the Copper Industry, pp. 174 ff., 1917. »

الرجال الستة والشركات التي يمثونها :

كورنيليوس كيلي (شركة آنا كوندا) ؛ إ. ت. ستانفورد
(شركة كنيكوت) ؛ فورد سيرلز الصغير (خبير شركة مورغان
في التعدين والنفط ، ونائب رئيس شركة نيومونت للتعدين) ؛
آ. تشاستر بيتي (مناجم النحاس الروديسيّة) ؛ ووبرت ستانلي
(شركة النيكل الدولية) ؛ واخيراً لويس كايتس (شركة فلبس
دودج) .

وهؤلاء الرجال يتنافسون على انتزاع حصة الأسد ، ولكنهم
يلتقون ويتعاونون على استغلال العمال الذين ينتجون النحاس ابشع
ما يكون الاستغلال ، وعلى إقامة العراقيل في وجه جميع الدخلاء
الراغبين في ان تكون لهم حصة في ذلك الاستثمار .

وخمسة من هؤلاء الرجال الستة امير كيون ، وواحد بويطاني
(آ. تشاستر بيتي) . وهذا دليل لا يُشكّك على ان وول ستريت
يسيطر على شركات النحاس الدولية سيطرةً شبه كاملة . واذا كان
آل رو كفار يسيطرون على النفط فأن بيت مورغان المالي هو
المسيطر على صناعة النحاس . فمنذ سنة ١٩٤٥ ومورغان وشركاؤه
والمصارف المتحالفة معه يملكون ستّ عشرة مديرية في شركات
النحاس الكبرى في حين يملك ال « تشايس ناشيونال بنك » الذي
تسيطر عليه مجموعة رو كفار سبع مديريات ليس غير .

ومثل فرّد سيرلز الصغير ، احد الرجال الستة الذين اشرفنا
اليهم آنفاً ، يصوّر لك مدى اندغام الحكومة الاميركية بالشركات
الاستثمارية والمصارف الكبرى . ففي أثناء الحرب العالمية الثانية

كان هذا الرجل يحتلّ عدة مناصب رئيسية بهم بيت مورغان الماليّ الى حدّ بعيد . وكان احدها منصب « مستشار الانتاج » لجيمس برنز الذي كان يومذاك مديراً لمكتب التعبئة الحربية . وفي سنة ١٩٤٦ عندما اسندت وزارة الخارجية الى المستر برنز فزع زعماء افريقية الجنوبية الغربية الى منظمة الامم المتحدة والتمسوا مساعدها في صراعتهم للتحرّر من نير المستعمرين العرقيين في جنوبي افريقية . فما كان من مندوبي الولايات المتحدة في تلك المنظمة الا ان قاموا بحملةٍ تخريبيةٍ حالت دون نصره الزعماء الافريقيين . وقد كافأت حكومة جنوبي افريقية المستعمرين البريطانيين والاميركيين على موقفهم ذلك بان عهدت اليهم في استثمار مناجم النحاس الغنية في جنوب غربي افريقية ، وكانت تستثمرها من قبل ' شركة ' المانية صودرت اثناء الحرب العالمية الثانية . اما حصة بيت مورغان الماليّ وشركة نيومونت للتعدين * فكانت ' ثلثي ' الأسهم ليس غير ... ومن طريق توظيف مليون دولار نقداً في هذا المشروع استطاع المساهمون البريطانيون والاميركيون الجدد ان يجنوا ارباحاً صافية بلغت تسعة ملايين دولار في ثلاث سنوات وفي سنة ١٩٤٧ ترك جيمس برنز وزارة الخارجية ، وما هي الا فترة قصيرة حتى عُيّن مديراً لشركة نيومونت للتعدين !

وهذا التعقيد الذي نراه في تنظيم احتكار النحاس العالمي لا اثر له في احتكار النيكل . فهناك شركة واحدة ، هي شركة النيكل الدولية ، تنتج خمسة اسداس النيكل في العالم الرأسمالي كله . وبدلاً

[المغرب]

* اللذين يعمل فرد سيرلز لحسابها ..

من ان تنبري سائر المجموعات الاميركية والبريطانية والكندية الى تنظيم شركات مستقلة، نراها توازن قواها من طريق امتلاك الاسهم والتنافس على المديرات في هذه الشركة المفردة. وهنا ايضاً تحظى الولايات المتحدة بالنصيب الأكبر من الغنيمة. ففي اواخر سنة ١٩٤٩ كان الاميركيون يحتلون رئاسة اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية وسبعة مقاعد من تسعة تتألف منها هذه اللجنة. والواقع ان جون فوستر داليز احد الكواكب اللامعة في السياسة الخارجية الاميركية منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية هو مدير اللجنة التنفيذية لشركة النيكل الدولية واحد اعضائها، ورئيس مكتب سوليفان و كرومويل القانوني الذي تعتمد الشركة وتستشير في كل مهم من امرها.

اما الالومنيوم فتستبد به مجموعة وأسمالية واحدة هي اسرة ميلون Mellon. وهذه الشركة العائلية (شركة الالومنيوم الاميركية Aluminum Corp. of America وتعرف اختصاراً باسم آلكووا Alcoa) تسيطر على القسم الاعظم من إنتاج الالومنيوم العالمي من طريق سيادتها المطلقة على هذا الميدان، في الولايات المتحدة و كندا، وسلطانها على الشركات النرويجية والاطالية، وامتلاكها لحقوق مادة البوكسيت في غينيا البريطانية والهولندية، وفي يوغوسلافية وفرنسة. وتعاضم نمو « آلكووا » تعاضماً هائلاً اثناء الحرب العالمية الثانية عندما اخذ إنتاج الطائرات الحربية يستهلك مقادير قياسية من الالومنيوم. وفي الوقت نفسه ازيجت من الميدان، مؤقتاً، منافستها العالمية الرئيسية أعني تروست الالومنيوم الألمانية.

والواقع ان انتاج شركة «آلكووا» تضاعف ثلاث مرات في ما بين سنة ١٩٣٩ وسنة ١٩٤٨ ، وان حصتها من مجموع انتاج العالم الرأسمالي ازدادت من ٤٠ ٪ الى ٦٥ ٪ ، على الرغم من ان شركتين جديدتين ، كايزر Kaiser ورينولدس Reynolds ، افتحتا ميدان انتاج الألومنيوم في الولايات المتحدة . وبانشاء هاتين الشركتين صارت الرساميل الاميركية تهيمن على نحو ٨٥ ٪ من مجموع انتاج الألومنيوم الأولي في العالم الرأسمالي .

الأمبراطوريات الصناعية

ولكن سلطان الشركات الاميركية الكبرى في البلدان الاجنبية ليس مقصوراً على استخراج المواد الخام وإعدادها للاستهلاك إعداداً اولياً ، فالاحتكارات الصناعية الضخمة تُفرق أسواق العالم بمنتجاتها أيضاً . والواقع ان مصانع فورد وجنرال موتورز أخرجت وحدها ٤٠ ٪ من مجموع انتاج السيارات في العالم الرأسمالي كله ، باستثناء الولايات المتحدة ، سنة ١٩٤٨ . وجميع المصانع الاميركية الكبرى تقريباً مصانع فرعية منشورة في طول العالم الرأسمالي وعرضه . والمرکز المتفوق الذي تحتله مجموعة مورغان في الصناعات الكهربائية بالولايات المتحدة - ابتداء من الراديو الى مولد الطاقة ومن البراد الى التلفزيون معروف مشهور . وهذه الامبراطورية تنتظم العالم بأسره أو تكاد .

وواسطة العقد في امبراطورية مورغان العالمية هي شركة جنرال اليكتريك ، أقوى التروستات الاميركية في ميدان الكهرباء .

والواقع أن هذه الشركة العملاقة تملك ما يتراوح بين ١٥ ٪
و ٤٩ ٪ من أسهم الشركات الكبرى المنتجة للمعدات الكهربائية
في اليابان ، وألمانيا ، وفرنسة ، ومراكش ، وانكلترة ، وإيطاليا .
كما تملك نسباً أخرى متفاوتة من أسهم الشركات المنتجة للمعدات
الكهربائية في النمسا ، وبلجيكة ، وتشيلي ، وهولندة ، وإسبانية ،
والسويد ، وتركية . أما في الأرجنتين ، والبرازيل ، والمكسيك
وأوروغواي ، وجنوبي افريقية ، والصين فتملك مصانع لإنتاج
المعدات الكهربائية لا يشاركها فيها احد .

ولا يزال توسع « جنرال ايلكترىك » الخارجي ينمو في اطراد .
وقد بلغت الرساميل الجديدة التي وظفتها في البلدان الخارجية خلال
السنوات الاربع التي عقبته انتهاء الحرب العالمية الثانية ٨٥ مليون
دولار . (نحو ربع مجموع الاموال التي وظفتها الشركة في تلك
المدة نفسها .)

نظام المحالفات الدولية الاقتصادية

لقد درسنا الى الآن اقتسام ملكية المشروعات الصناعية من
طريق تصدير الشركات الكبرى لرأس المال . فلننظر ههنا في ظاهرة
جديدة من ظواهر الاستعمار البارزة وهي اقتسام اسواق العالم
الرأسمالي من طريق نظام المحالفات الاقتصادية الدولية Cartel
System . وقد تختلف هذه المحالفات في طرائقها ولكنها تلتقي
جميعاً عند اصول ومبادئ لا تعدوها .
أما اول هذه المبادئ فالاحتفاظ بأسعار احتكارية مرتفعة .

وثانيها احتكار الاسرار التقنية technical في ما بين الشركات التي تنتظمها المحالفة . وثالثها تعديل الانتاج من طريق أنصبة (كوتا) متفق عليها ومبنية على اساس من حالة الاسواق في العالم الرأسمالي . اما رابع هذه المبادئ فتقسيم الاسواق تقسيماً إقليمياً يجعل من هذه المنطقة او تلك سوقاً تستقل به بعض الشركات الوطنية ، ويوزع مناطق البيع في الاسواق الاخرى .

وفي ميسورك ان تكون فكرة عن الارباح التي جنتها التروستات الاميركية من طريق المحالفات الاقتصادية الدولية المعقودة بعد الحرب العالمية الثانية إذا علمت ان شركة * الهندسة والسبك المتحدة في بيتسبورغ ** - وهي تقع ضمن دائرة نفوذ « ميلون » ولكنها متصلة ايضاً بأحد المصارف النيويوركية التي يسيطر عليها مورغان - هي اكبر التروستات التي تقسم في ما بينها اسواق الفولاذ في العالم ، وانها عقدت سنة ١٩٤٧ اتفاقات مع الشركات الاجنبية المنافسة انحدرت بهذه الشركات الى مرتبة وكييل يبيع لحساب شركة الهندسة والسبك المتحدة ، لقاء عمولة معينة في معظم بلدان العالم ، ولكنها أذنت لها في ان تبيع منتجات من صنعها هي في مناطق محدودة جداً ، شرط ان تدفع الى شركة الهندسة والسبك ضريبة عن هذه المبيعات ...

ومثل هذا الوضع كان قائماً ، قبل الحرب العالمية الثانية ، في صناعة المعدات الكهربائية . فقد ابتلعت شركتا جنرال ايلكتريك

* United Engineering and Foundry Company of Pittsburgh.

** بيتسبورغ مدينة في بنسلفانيا مشهورة بصناعة الحديد والفولاذ. [المعرب]

(مورغان) ووستنكهاوس (مليون - رو كنفار) سائر الشركات المنافسة لها في الولايات المتحدة وقسمتا السوق المحلية في ما بينهما . . . ليس هذا فحسب بل لقد وظفتا رساميل كبيرة خارج الحدود الاميركية وقاسمتا الشركات الاجنبية اجزاء كبيرة من السوق العالمي . وفي سنة ١٩٣٠ تمّ اقتسام الاسواق في العالم الراسمالي من طريق محالفة اقتصادية دولية Cartel عقدت بين تسع من شركات المعدات الكهربائية العالمية وعلى رأسها الشركتان الاميركيتان العملاقان . . .

ولكن ما المعاني التي تستفاد من هذا كله ؟

يستفاد من هذا أولاً ، أن المعدات الكهربائية الثقيلة لا يمكن ان تشتري في ايما بقعة من العالم الراسمالي من غير ان يدفع المشتري الجزية الخاصة التي تفرضها شركات الاحتكار التسع . ثانياً ، ان القوى الراسمالية التي تقف من وراء الشركات الكهربائية في كل من البلدان الاستعمارية تملك قوة النقض او « الفيتو » في ما يتصل بتطوير الطاقة الكهربائية وبالصناعات المسيرة بها في اقطار العالم الراسمالي قاطبة . ثالثاً ، ان لمؤسسة مورغان ، بفضل مركزها الخاص ، وتداخلها العريض في الشركات الاخرى ، وسيطرتها العارمة على براءات الامتياز ، الصوت الأعلى في هذا الاحتكار . . . فاذا رغب نفر من اهل البرازيل مثلاً في أن يقيموا منشآت لتوليد الطاقة الكهربائية فيتعين عليهم أن يشتروا المولدات والتربينات turbines من الشركات المنتظمة في هذا الاحتكار الدولي ، ويدفعوا اليها الجعالة الدائمة التي تفرضها عليهم ، ويعهدوا في إقامة

هذه المنشآت الى مؤسساتٍ هندسية تربطها بشركات الاحتكار
رابطة نسبٍ أو قرُبي . ليس هذا فحسب ، بل يتعمّن على
اولئك البرازيليين أيضاً أن لا ينتهجوا أيما سياسةٍ قد تعود بأذى
جديّ على مصالح شركات الاحتكار في البرازيل ...

فاذا رغب البرازيليون في اجتناب الوقوع في هذا الشرك ففي
ميسورهم أن يفرعوا الى شركة جنرال ايلكترىك البريطانية التي
تملك الرساميل الاميركية ٤٠ بالمائة من اسهمها ، أو الى شركة
جنرال ايلكترىك الالمانية التي تبلغ حصة الرأسمالين الاميركيين
١٨ بالمائة من اسهمها ليس غير ! ... وحيثما تلتفت اولئك
البرازيليون فلن يقعوا إلا على شركات خاضعةٍ إما لسيطرة جنرال
ايلكترىك أو لسيطرة وستنكهاوس ...

امبراطورية المصارف

وكما تقف المصارف الكبرى من وراء الاحتكارات الصناعية
في الوطن ، كذلك تشارك في النشاط الاقتصادي الذي تقوم به
الشركات الاميركية في مختلف البلدان الأجنبية . وإنما تلعب هذه
المصارف دور المُنْغري بالتوسع الخارجي ، المُقارِض من اجل
تحقيقه . والواقع ان اصحاب مصارف التوظيف كانوا ، قبل عام
١٩٣٠ ، يقرضون المشروعات الأجنبية ويروجون لها بصورة
مباشرة ، ولكنهم فرضوا سيطرتهم منذ الحرب العالمية الثانية على
أدوات اكثر فعاليةً . وليس من ريب في ان كل سنّةٍ
(فلس) من القروض الهائلة التي تعقدها الولايات المتحدة مع

البلدان الأخرى أو التي تُقدّم الى هذه البلدان من طريق البنك الدولي إنما يقدّمها في الواقع أصحاب مصارف التوظيف الكبرى في اميركة . ولعلك تعجب إذا علمت أن ممثلي أصحاب المصارف هؤلاء، المباشرين ، يحتلون المناصب الرئيسية في وكالات الأقرض والتسليف ، وأن رجالهم يديرون بأنفسهم وزارة المالية الاميركية وانهم قد انشأوا لجنة استشارية لتوجيه الحكومة في القضايا المالية الدولية ...

وفوق ذلك كله تشارك المصارف الاميركية ، مباشرة ، في مشروعات التوظيف المالي في الخارج . والحق ان للمصارف الأميركية الأربعة الكبرى : ناشيونال سيتي * ، وتشايس ناشيونال (روكفار) وغارانتي تروست (مورغان) ، وبنك اميركة (جيانيني) ، فروعاً كثيرة خارج الولايات المتحدة ، وانها تتمتع بالنفوذ الأقوى في ميدان النشاط العالمي الذي تقوم به الرساميل الأميركية .

الامبراطورية الإقليمية

والحق أن تقسيم العالم ما بين الكتل الصناعية والمالية يجري جنباً الى جنب مع تقسيم العالم الرأسمالي تقسيماً جغرافياً الى امبراطوريات استعمارية تخضع كل منها ، اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، لمركزٍ معين من مراكز القوة والسلطان . واليك

* ولمورغان أعظم السيطرة على هذا المصرف الضخم الذي يبلغ عدد فروعه واحداً وخمسين فرعاً منشورة في أرجاء العالم . [المؤلف]

فيما يلي خريطة تقريبية للامبراطورية الاميركية . وقد اجتزأنا فيها بذكر البلدان التي رسخت فيها السيطرة الاميركية الاستعمارية رسوخاً جعل مرافقها القومية المهمة ملاكاً للرساميل الاميركية او خاضعة لسلطانها . أما النجوم فتشير الى البلدان التي اعتبرها البروفسور توماس بار كرمون Moon منذ سنة ١٩٢٦ ، جزءاً من الامبراطورية الاميركية ، في كتابه الموسوم بـ « الاستعمار والسياسة العالمية . »

الامبراطورية الاميركية سنة ١٩٥٠

التروستات الاميركية او المرافق التي تسيطر عليها	عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)	
شركات صيد الاسماك	٠،٤١	الاسكا *
شركات مختلفة	١٣	كندا
شركة « آلكووا »	٠،٠٢	غرينلاند
تروستات السكر	٥	كوبا *
معادن مختلفة	٢٣	المكسيك
شركة الفاكهة المتحدة	١٥	ثمانية بلدان صغرى في اميركية الوسطى * وبحر الكاريبيان
ناشيونال سيتي بنك		بورتوريكو *
تروستات السكر	٢	فنزويلا
ستاندارداويل (نيوجيرزي)	٤	كولومبيا
ستاندارداويل (نيوجيرزي)	١١	بيرو
و.ر. غرايس (النقل البحري)	٨	
سيرو دي باسكو (النحاس)		
شركة آناكوندا وشركة كينيكوت (النحاس)	٦	شيلي
شركة المعادن الاميركية (الصفحة)	٤	بوليفيا
شركات مختلفة	٤٨	البرازيل

شركة آلكووا (البوكسيت)	١	غينيا (الهولندية والبريطانية)
شركات السكر	٤٥	هوايي *
شركات مختلفة	٢٠	الفيليبين *
اربع شركات كبرى للنفط	٦	العربية السعودية والبحرين
الكروميت	١٩	تركية
شركات مختلفة	١	اسرائيل
التبغ	٨	اليونان
شركة فايرستون للمطاط،	٢	ليبيريا
شركة الفولاذ الجمهورية		

١٩٧

بمجموع السكان

وفي خمسة بلدان اخرى على الاقل نما النفوذ الاميركي نمواً كبيراً، وشرعت الرساميل الاميركية تزحزح الرساميل البريطانية وغيرها عن مكائتها :

عدد السكان (بالملايين)

١٦	الارجنتين
٢٨	اسبانية
١٩	مصر
١٧	طاييلند
١٦	يوغوسلافية
٩٦	بمجموع السكان

واليابان (٧٨ مليون نسمة) والمانية الغربية (٤٨ مليون نسمة) وضع خاص . فالقوات الاميركية المسلحة تحتل هذين البلدين، والرساميل المالية الاميركية تسيطر على تجارتهما الخارجية . وقد وظفت شركات الولايات المتحدة أموالاً ضخمةً فيهما منذ انقضاء الحرب العالمية الثانية . ولكن اليابان والمانية الغربية بلدان متطوران ، لا يزال ابناؤهما يملكون معظم الصناعات الاساسية . والنضال الشعبي ضد الاحتلال الاجنبي في كلا البلدين قوي الى

درجة حملت وول ستريت على التردد في بسط إشرافه المباشر على مرافق الاقتصاد الحاسمة . ومن هنا فإن الحكم الاستعماري الأمريكي لما توطد أركانه توطيداً كاملاً في هذين البلدين . وهكذا نستطيع ان نجمل في ما يلي مناطق الساطان الاستعماري الاميركي كما تبدو سنة ١٩٥٠ ، آخذين بعين الاعتبار اختلاف ظلال السيطرة ودرجاتها :

عدد السكان سنة ١٩٤٧ (بالملايين)

١٤٤

الولايات المتحدة الاميركية

بلدان تسيطر الولايات المتحدة

١٩٧

على مرافقها الاقتصادية سيطرة تامة .

بلدان في سبيلها الى الخضوع

٩٦

للسيطرة الاميركية .

بلدان تحتلها الولايات المتحدة

احتلالاً عسكرياً ، ولكن حكمها

الاستعماري لم توطد أركانه فيها .

١٢٦

مجموع سكان الامبراطورية

٥٦٣

الاميركية ، بمعناها الواسع .

والحق أن سكان بريطانيا ومنطقتها الأسترلينية يبلغ عددهم اكثر من هذا الرقم بقليل . ولكن من الخطأ ان نستنتج من ذلك أن الامبراطورية البريطانية اكبر من الامبراطورية الاميركية . ذلك بأن قبضة الاستعمار البريطاني هي اليوم اضعف مما كانت أمس . وإن عدداً من البلدان التي تشكل أجزاء رئيسية في تلك الامبراطورية بسبيل الانفصال عنها أو الانضواء تحت راية الاستعمار الأمريكي الاقوى . وفي بعض المناطق البريطانية

الأخرى يتصدر الرأسماليون الأميركيون لمشاركة زملائهم
الغنيمة في نسب متزايدة ، وهو وضع لا نجد ما يقابله في
الامبراطورية الأميركية .

وهكذا نرى ان الامبراطورية الاميركية هي اليوم ، في
الواقع ، أوسع واقوى امبراطورية استعمارية على ظهر هذا
الكوكب . وأن نحواً من ثلث سكان العالم الرأسمالي يعيشون
ضمن نطاقها . وأياً ما كان فإن منطقة نفوذ رأس المال الاميركي
أوسع من ذلك أيضاً . فهي تشمل جميع بلدان اوروبه الغربية
المنتظمة في مشروع مارشال ، ومستعمرات هذه البلدان وأنصاف
مستعمراتها . وليس من ريب في أن نفوذ اميركة العسكري
والاقتصادي آخذ في التعاضم على تفاوت في القوة والسرعة ، في
جميع هذه الأمصار . وكلما ازداد تورطُ العناصر التي تحكم تلك
البلاد في مشروع مارشال ، والحلف الأطلسي ، وإعداد العدة
لحرب عالمية ثالثة انتهت حرية التصرف عندهم إلى أن توسف في
قيودٍ أشد ، وأغلالٍ أثقل .

وهذه المناطق ، اذا ما اضيفت الى بلدان الامبراطورية
الاميركية نفسها ، تؤلف العالم الرأسمالي بقضيه وقضيضه .

٣ . وول ستريت ومأساة الزنوج ...

يبتز الاستعمار الاميركي اليوم ارباحاً ضخمةً من اجزاء العالم الرأسمالي جميعاً . ولكن الركن الاساسي الذي تقوم عليه ارباح وول ستريت الفاحشة ، والذي يدر على امراء هذا الحي المالي عائداتٍ تفوق تلك التي يجنونها من ايما بلد اجنبي منفرد ، هو اضطهاد الشعب الزنجي في الولايات المتحدة نفسها .

والواقع ان مكاسب عديدةً تمت للزنوج في السنوات التي تلت الحرب الاهلية مباشرةً . فقد احتل ممثلوهم عدداً من مقاعد الكونغرس ، واشتركوا في مجالس الولايات التشريعية ، وأسهموا مع حلفائهم البيض في إدارة عددٍ من حكومات الولايات الجنوبية . لقد قاتلوا من اجل ملكية الارض ، وحق التصويت ، وحق حمل السلاح ، وحق التعليم ، وضد ضروب الأيثار والتمييز على اختلاف اشكالها .

ولكن هذه الثورة الاميركية الثانية لم تستكمل . وهي لن تبلغ كمالها إلا حين تتم للزنوج ملكية الارض التي حرثوها طوال اجيالٍ عديدة ، وبذلك يتوفر لهم اساس اقتصادي لتحقيق تحرورهم الرسمي من العبودية . والذي لا ريب فيه ان الصناعيين من اهل

الشمال ، الذي سيطروا على الحكومة الفدرالية في عهد الحرب الأهلية ، لم يكونوا راغبين في تحرير الشعب الزنجي تحريراً صحيحاً . كل ما كانوا يسمعون بسبيله هو ان يحلوا محل مالكي العبيد الجنوبيين في استغلال الشعب الزنجي اقصى ما يكون الاستغلال . والحق ان النهج السياسي الذي اتبعه الحزب الجمهوري والجيش في الولايات الجنوبية كان تحالفاً مع مالكي العبيد السابقين لأخضاع الشعب الزنجي من جديد . اما النهج الاقتصادي الذي اختاره فكان يهدف الى منع الشعب الزنجي من امتلاك الأرض ، وإقامة نظام الانتاج على اساس جديد تكون حصة الاسد فيه لأصحاب المصارف والمصانع والتجار من اهل الشمال ، في حين يكون مالكو الاراضي الجنوبيون شركاء ثانويين ومناظرين عاديين .

وقد بلغت هذه العملية اوجها خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر عندما وجد ضغط الاحتكارات المصرفية والصناعية ، لأول مرة ، متنفساً كبيراً له في الجنوب . وفي هذا العقد على الخصوص والسنوات التي تلتها مباشرة رفعت القواعد للتكامل بالشعب الزنجي في الجنوب . فوضعت دساتير للولايات جديدة على اساس التمييز ما بين السود والبيض ، وطرد الزنوج من مجالس الحكومات المحلية ومن الكونغرس الاميركي . وسجل في مدى ثلاث عشرة سنة نحو الفتي حادثة من حوادث الاعدام غير المشروع الذي أنزل بالزنوج ظمناً وعدواناً .

وسار اخضاع الشعب الزنجي ، اقتصادياً ، مع حملة الارهاب والتكامل جنباً الى جنب . فها هي الافة حتى أبعد العمال

الزئوج عن الاعمال ذات الرواتب العالية وحميل بينهم وبين بعض الصناعات بالكلية (المنسوجات القطنية مثلاً) . فالتمسوا الرزق من طريق القيام بأعمال البناء الشاقفة ، والاتحاق بالمناجم . واتخذت إجراءات خاصة للحوؤل بين الزئوج وامتلاك المزارع ، ولفرض العبودية الزراعية والعمل الصناعي ذي الاجر الضئيل على اكبر عدد منهم .

وفي الوقت نفسه ضيق اصحاب المصارف والاحتكارات الصناعية الشمالية الحناق على الحياة الاقتصادية الجنوبية لكي يبتزوا الارباح الفاحشة من الشعب الزنجي المضطهد . فعززوا صناعة الفحم والحديد والفولاذ والقطن والتبغ ووسعوا شبكة السكك الحديدية واخضعوا ذلك كله ، على تفاوت في الدرجة ، لسلطان رأس المال الشمالي . وفي السنوات التالية تضاعفت الاموال الشمالية الموظفة في اصقاع الجنوب وامتدت الى صناعات جديدة - كالنفط ، والطاقة الكهربائية ، والحرير الصناعي والمواد الكيميائية - امتداداً عجيباً جعل انصبة الشماليين فيها اكبر من انصبتهم في الصناعات القديمة نفسها .

وهكذا حوّل الجنوب ، عملياً ، الى نصف مستعمرة لوول ستريت ، وانتهى الزئوج الى ان يكونوا عمالاً شبه مسخرين في تلك المستعمرة .

ومع الايام ازداد عدد الزئوج واشتدت حاجة المصانع الشمالية وبخاصة ابام الحروب ، الى العمال . فشجع ملايين من الزئوج على الانتقال الى الشمال حيث انزل بهم اقطاب المال انفسهم ضروب

الاضطهاد والاستثمار عينها ، ولكن باشكالٍ اقلّ وضوحاً من تلك التي عرفوها في الجنوب .

استغلال الزئبق استفهولاً فامشاً

والشعب الزنجي ، كالشعوب المستعمرة ، لا يملك صناعةً ما ، وليس له غير نصيب ضئيل جداً في ملكية رأس المال باي شكلٍ من أشكالها . ومع ذلك فهو يقدم مقداراً غير متوازن من العمل الثقيل الذي تجني منه الرساميل الأميركية أرباحها الأسطورية . فنحو ثلاثة أرباع العمال الذكور غير البيض كانوا يعملون في سنة ١٩٤٠ كزرايع او عمال او مستخدمين . اما العمال البيض في هذه الحقول فبلغت نسبتهم الثلث تقريباً .

وهكذا فإن طفيلية الحياة الاميركية المتعددة الجوانب التي تعتنق عدة ملايين من السكان ، واجور العمال الفنيين المرتفعة نسبياً إنما تنهض الى حدٍ غير يسير على كدح الشعب الزنجي القاصم للظهور في المزارع والمدن .

وفي سنة ١٩٤٧ بلغ متوسط دخل العامل الابيض ١٩٨٠ دولاراً سنوياً ، في حين بلغ متوسط دخل العامل غير الابيض ٨٦٣ دولاراً ، أي ٤٣،٦٪ من دخل زميله الابيض . *

وهذا الفرق الذي ينيف على ١١٠٠ دولار يمثل مقدار الدخل الاضافي والارباح الفاحشة التي يبتزها اصحاب العمل من العامل

* U. S Dept. of Commerce, Report P - 60, *Incomes of Families and Persons in the United States*, 1947, table 22, p. 29.

الزنجي المتوسط زيادةً على الأرباح السوية normal التي يجنونها من العامل الأبيض . والواقع ان الدعاية البيضاء تزعم ان الزنجي دون زملائه البيض مقدرةً وبراعةً، وأنه أقلّ منهم إنتاجاً، ومن أجل ذلك فهو غير جدير بأن ينال ما ينالون من أجور مرتفعة نسبيّاً . . . وليس من ريب في ان الشعب الزنجي لا يتمتع بفرصٍ للتربية متكافئة مع تلك التي يتمتع بها البيض . وحتى الثقافة التي يوفّق الزنوج الى اكتسابها في بعض الأحيان لا تفني عنهم شيئاً، من هذه الناحية . فالاحصاءات الحكومية تُظهر أن الاميركي الأبيض الذي درس أربع سنوات أو خمس سنوات في الجامعة يبلغ متوسط دخله السنوي ٢٠٤٦ دولاراً ، في حين أن الاميركي الزنجي الذي أتم مراحل الدراسة نفسها يبلغ متوسط دخله السنوي ١٠٤٧ دولاراً . والمواطنون البيض الذين لم يتجاوزوا مرحلة التعليم الثانوية لا يكسبون ضعف ما يكسبه الزنوج الذين يساؤونهم ثقافةً فقط، بل يزيد دخلهم بنسبة ٤٠٪ على دخل خريجي الجامعات من الزنوج . ليس هذا فحسب ، بل ان الاميركيين البيض الذين لم يعدوا مرحلة التعليم الابتدائي يكسبون أكثر من الزنوج الجامعيين، ويبلغ متوسط دخلهم ٧٠٪ أكثر من متوسط دخل امثالهم من الزنوج* . وليس من ريب في ان إيثار البيض على السود في ميدان العمل هو رذيلةٌ في ذاته . ولكنه ليس القصة كلها بحالٍ من الاحوال . فالحق ان العامل الزنجي لا يُعطى اجراً أقل لقاء عملٍ أقل ، بل

* U. S. Dept. of Commerce, Report P - 46, No. 5, *Educational Attainment by Wage or Salary Income : 1940*, p. 8, table 5.

لقاء عمل يُعَدِّل العمل المطاوب من العامل الابيض أو يزيد عليه من حيث الكَمِّ والكيف جميعاً .

صحيحٌ أن الزوج معزولون في أعمالٍ مخصوصة . ولكن هذه الاعمال ليست ، على أية حال ، أسهل الأعمال أو أقلها حاجةً الى البراعة . إن عكس ذلك تماماً هو الصواب . فالعمل الذي يُسند الى الزوجي عادةً هو اكثر الأعمال مشقةً ، وأشدّها خطراً ، وأكْرهها الى النفس ، وأبلغها إيذاءً للصحة . والعمال الذين يؤدون هذه المهامّ نفسها في الاتحاد السوفياتي إنما يُكافأون على أدائهم إياها بأجور أعلى ، وساعاتٍ من العمل أقلّ ، وُعطل أطول آجالاً . ويلاحظ جنر ميردل Gunnar Myrdal في كتابه « مازق » اميركي « أن واحداً بالمائة من العمال في شعبة الادوات من شركة فورد للسيارات ، حيث الاجور مرتفعة جداً ، هم من الزوج ، في حين ان ٤٧٪ من العمال في قسم الصبّ والسبك من الشركة نفسها ، حيث الاجور منخفضة جداً بالرغم من ان العمل هناك أشق وأخطر وبالرغم من انه يقتضي براعة مماثلة ، هم من اصحاب البشرة السوداء * .

أما روبرت ويفر فينص في كتاب له عن مشكلة العمل عند الزوج على ان الكثرة الكبيرة من العمال الزوج في الشمال يعملون في مصانع الصبّ ، وغيرها من المصانع الحارّة ، الكريهة ، التي تقدّم الى عمالها أجوراً منخفضة نسبياً * * .

* Myrdal, *An American Dilemma*, Vol. II, pp. 1076 ff.

* * Robert C. Weaver, *Negro Labor, a National Problem*, p. 8. N. Y., 1946.

وفي ميسور القاريء ان يكون فكرةً عن الأحوال التي يعمل هؤلاء الزوج في ظلها من تقرير وضعته بعثة بريطانية زارت سنة ١٩٤٩ مصانع سبك الفولاذ في الولايات المتحدة بدعوة من ادارة مشروع مارشال ، لتعليم الاوروبيين «طريقة العيش الاميركية .»
وقد وجدت هذه البعثة أن ٥٥ ٪ من الخمسة والسبعين الف عامل هم من الزوج و ١٥ ٪ هم من «العمال الأوروبيين بولونيين وتشيكين وإيطاليين وغيرهم» ، و ٣٠ ٪ هم من «العمال الاميركيين البيض .»
أما عن احوال هؤلاء الزوج الذين يؤلفون الغالبية الكبيرة من العمال المنتجين في تلك المصانع ، والذين يقدم كل منهم مجهوداً يزيد ما بين ٥٠ ٪ الى ٩٠ ٪ على ما يقدمه زملاؤه في مصانع الصبّ والسبك البريطانية ، فيقول التقرير إن البعثة وجدت العمال الزوج «منهمكين في عملٍ شاقٍ الى حدّ بالغ ، حاملين بأيديهم مطارق ثقيلة من حديد .» وأن هؤلاء العمال يشتغلون شغلاً متواصلاً « فلا يكاد النهار ينتصف وتعلن الصفارة بدء عطلة الظهيرة حتى ينطرحوا على وجوههم ، حيث يعملون ، ويستسلموا لسلطان الرقاد .» ويشير التقرير فوق ذلك الى انعدام الوقاية من تهريب الرئة بسبب استنشاق الرمل والتراب Silicosis و «تضحية السلامة على مذبح السرعة» و«جوّ الأهمال الذي يسود الأبنية جميعاً .»
وتعزو البعثة هذه الاحوال كلها الى رغبة أصحاب الاعمال « القساة القلوب» في ان ينتزعوا من عمالهم أعلى قدر ممكن من الانتاج حتى في ايام الكساد . ولكن لماذا يرتضي الزوج القيام بهذه الاعمال التي يعافها معظم العمال البيض ؟ هنا يزعم الزوار

البريطانيون الذين اعتادوا استغلال الشعوب السوداء في إفريقيا، أن
الزواج « يجدون لذةً كبيرةً » في هذا النوع من العمل ، وانهم
يشتغلون في ازدراء كامل للنصب والاعياء، وانهم « يالفون »
الحرارة المرتفعة ارتفاعاً كبيراً ... *

وفي الزراعة يظهر الاضطهاد الاستعماري الذي يخضع له الزوج
في اكثر اشكاله تطرفاً . فعالية الزراع الزوج يعملون على اراض
ليست ملكاً لهم ويقدمون ما يزيد على نصف غلاتهم اجوراً
للمالكين . واكثر من هؤلاء عدداً اولئك الزوج الذين يستأجرهم
اصحاب الاراضي لقاء أجرٍ معلوم ، وهذه الفئة هي التي تعاني من
الاستغلال أشده وأقساه . ففي تموز سنة ١٩٤٧ كان متوسط
التعويض اليومي المدفوع الى الاجير المزارع في الولايات الغربية
الشمالية الوسطى حيث يُستخدم عدد قليل جداً من الزوج ،
٦ دولارات و٥٢ سنتاً . اما في الولايات الشرقية الجنوبية الوسطى
حيث نصف العمال الزراعيين تقريباً من الزوج ، فقد بلغ متوسط
ذلك التعويض ٣ دولارات و٢٤ سنتاً . ليس هذا فحسب ، بل
إن متوسط دخل جميع الاسر البيضاء العاملة في المزارع بلغ ٢١٥٦
دولاراً سنة ١٩٤٧ ، في حين بلغ متوسط دخل جميع الاسر الملونة
١٠٢٦ دولاراً — اي ان الفرق بين الدخلين يكاد يبلغ نفس الفرق
الذي وجدناه قائماً بين دخل العامل الصناعي الابيض ودخل العامل
الصناعي الاسود ، وهو ١١٠٠ دولار ...**

* Anglo-American Council on Productivity, *Steel Founding*,
London, 1949.

** *Incomes of Families and Persons in the United States*
1947, p. 16, table 2.

ولكن كم تبلغ الارباح الفاحشة التي يبتزها الاستعمار الاميركي من استغلال الشعب الزنجي استغلالاً إضافياً ؟ إن في ميسورنا أن نقع على جواب تقريبي اذا اعتبرنا فرق الالف ومائة دولار الذي أشرنا اليه ربحاً إضافياً، ثم ضربنا هذا الرقم بعدد العمال الزنوج المنتجين في حقلي الزراعة والصناعة ، وقد بلغ سنة ١٩٤٧ نحو ثلاثة ملايين ونصف ، وعندئذ تكون النتيجة ربحاً إضافياً إجمالياً يبلغ اربعة مليارات دولار تقريباً .

و الواقع ان هذه العملية الاحصائية لا تشمل غير منتجي السلع من العمال الزنوج . إنها تسقط من الحساب ، مثلاً ، مئات الألوف من النساء الزنجيات اللواتي يتركن بيوتهن ليخدمن في منازل المواطنين الأثرياء لقاء عشرة دولارات اسبوعياً ، في الجنوب ، وما بين عشرين الى خمسة وعشرين دولاراً اسبوعياً في الشمال (باستثناء مدينة نيويورك .)

واياً ما كان فإن رقم الاربعة مليارات دولار يمثل تقديراً محافظاً لما يكسبه الاستعماريون الاميركيون من اضهاد الشعب الزنجي لأنه يهمل مورداً مهماً من موارد الربح الفاحش إهمالاً كلياً . وتفصيل ذلك ان الشعب الزنجي في الولايات المتحدة ، يقتضى اسعاراً أعلى من الاسعار الاحتكارية العادية السائدة في هذه البلاد . ففي الريف الجنوبي يتعين على السكان الزنوج ان يدفعوا اسعاراً إضافية في مخازن القرى . . . وفي المدن يُعزل الزنوج في مناطق مخصوصة من مثل منطقة « هارلم » Harlem في نيويورك ، حيث تباع السلع ، على رغم رداعتها النسبية ، بأسعار اعلى مما تباع في المناطق المجاورة . وانما تتجلى هذه النزعة الى استغلال الزنوج ابشع

ما تتجلى ، في اجور المنازل . والواقع ان احقر احياء العمال القدرة slums التي تعرفها مدينة نيويورك ، والتي تملكها اكبر شركات التأمين وشركات الرهون وغيرها إنما تقوم في منطقة « هارلم » الآنف ذكرها . ولكن اجور المنازل ههنا اعلى منها في سائر المناطق العمالية بنسبة خمسين بالمائة ! ...

اضف الى ذلك ان ايما محاولة إحصائية لا تستطيع ان تتسع لآلام البغي نصف العبودي الذي يحيا في ظله ملايين الزوج الاميركيين . فأسر الحصادين التي تتعاقد على العمل كأسر ، يكره افرادها جميعاً - الشيوخ والنساء والاطفال الصغار ابتداءً من سن الخامسة - على ان يعملوا في الحقول من مطلع الفجر حتى الغروب . ومن طريق الديون العجيبة وسنن العبودية المقنعة بأقنعة رفاق يحيا هؤلاء الزوج شبه سجناء أو أسرى بحق ممالك المزرعة القاء القبض عليهم اذا ما حاولوا مغادرتها . اما المهاجرون الذين لم تعد الحاجة اليهم ماسةً في المزارع الجنوبية فأنهم يعيشون تحت رحمة ملتزمي الاعمال بالمزارع الشمالية الرأسمالية وفي أسرهم . . . وهل ننسى أخيراً ، مئات الالوف من الزوج الذين يُعتقلون كل سنةٍ ، في الجنوب ، لغير ما جريمة اقترفتها ايديهم ، ابتغاء إجبارهم على العمل المسخّر في مزارع السجون وفي الشوارع والطرق لمصلحة شركات الأغذية والملتزمين الذين يجنون ثمرات عملهم غير المأجور !

مظاهر الاضطهاد السياسي

إنّ في وضع الشعب الزنجي في الولايات المتحدة مصداقاً

لقول كارل ماركس المأثور : « لا يستطيع العمل ان يعتق نفسه في البشرة البيضاء حيث يكون مُسترقاً أو مُستعبداً في البشرة السوداء. » وليس من ريب في أن هذا المبدأ ينطبق على الاستغلال الاستعماري الفاحش للشعوب المستضعفة بشكل عام ولكنه في الحالة الخاصة بالشعب الزنجي ، يقع في قلب الوطن الأم ، ويترك اثره المباشر في وضع العمال البيض انفسهم .

وهما يكن من امر فأت زعماء نقابات العمال في الولايات المتحدة ، باستثناء قلة صغيرة من التقدميين ، يشجعون اضطهاد العمال الزنوج ويعملون على ترسيخ قواعده وتوطيدها . والواقع ان عدداً من نقابات الحرف التي تقتضي براعة خاصة يحظر على الزنوج الانتماء اليها تحظيراً صريحاً ، في حين تغلق عدة من النقابات الاخرى ابوابها ، بصورة غير مباشرة ، في وجه الزنوج من طريق نظام التدرّب والاجازة الذي تفرضه على اعضائها . ليس هذا فحسب ، بل ان النقابات الصناعية القوية لتقصر تقصيراً فاضحاً في حمل اصحاب العمل على منح عمالهم السود حقوقاً متساوية والحقوق التي يمنحونها عمالهم البيض ، وفي النضال ضد قاعدة « آخر من يُستأجر ، واول من تصوّب الى صدره النار » التي يطبقها اصحاب العمل ضد الزنوج ، وفي الحيلولة دون فرض الأعمال الأكثر مشقة والأقل اجراً على العناصر الزنجية في المحل الأول ، وفي المطالبة بأن يتولى العمال الزنوج بعض المناصب في النقابات الخ ...

لقد انتشرت سموم التعصب العرقي في طول البلاد وعرضها وتسربت الى مجاري الحياة الاميركية جميعاً . فاذا بجهاير الشعب

تعود اصطناع تعابير الاستخفاف والاحتقار في معرض الاشارة الى الشعب الزنجي والاقليات القومية الاخرى . والحق ان الطبقات الحاكمة قد حاولت قسمة الأمة الاميركية الواحدة إلى طوائف متباينة على اساس من الأصل القومي . وعلى الرغم من ضروب الدعاية التي تصور الولايات المتحدة وكأنها « بوتقة تلتقي فيها الشعوب » لا يزال رجال السياسة يبنون حملاتهم الانتخابية على نداءات خاصة الى « الناخبين الايرلنديين » و « الناخبين البولنديين » ، و « الناخبين اليهود » و « الناخبين الايطاليين » ، و « الناخبين الزنوج » ...

وثمة مضامين أخرى أبعد مدى وأشد خطراً . ذلك ان الجماعة التي لا ترى بأساً في إنزال الاذى والاضطهاد بشعب كامل مجياً على ارض الوطن خليفة^١ بأن لا تتحمس للنضال ضد هذه الأساليب نفسها حين تطبّق في جنوبي افريقية ، أو آسية ، او اوروبة . والانتصار لسياسة التنكيل بالزنوج في الولايات المتحدة يقود بصورة منطقية الى الانتصار لسياسة التوسع الاستعماري والحرب العدوانية في الخارج ، برغم ما تجره من عواقب وخيمة على الشعب الاميركي ككل^٢ ، وعلى عمال الولايات المتحدة بوجه خاص . وهكذا فليس عجباً أن نرى زعماء نقابات العمال المؤيدين لنظام اضطهاد الزنوج واستغلالهم يؤيدون اصرح التأييد برنامج التوسع الاميركي الاستعماري برمته .

والواقع ان اضطهاد الشعب الزنجي هو عتق آخيل * في

* آخيل هو بطل « الاياذة » لهوميروس . وقد أبدى في حصار

الاستعمار الاميركي . ان من المتعذر اخفائه باشكل الاستقلال كما هي الحال في انصاف المستعمرات ؛ وفي استطاعة كل من يزور الولايات المتحدة ان يراه بأمر العين . إنه يسخر من جميع الادعاءات الديبلوماسية التي تسعى الى اظهار الولايات المتحدة بمظهر الحريص على مصالح الشعوب الملونة في آسيا وافريقية ؛ ويفتح فمها بشعاً الدعاية التي تتبجح « بمستوى الحياة الاميركية الرفيع » ، هذا المستوى الذي يُعتبر حراماً على خمسة عشر مليوناً من المواطنين الزوج ...

ولاجتناب هذه الفضيحة يسعى سادة الولايات المتحدة الى اصطناع الزوج الذين لا يتورعون عن نصررة الاستعمار . وبما تجدر ملاحظته أنهم لا يُسندون الى هؤلاء الزوج مناصب ذات سلطان حقيقي ، بل يضعونهم في مراكز لها شأنها في العلاقات العامة ، وبخاصة مع مواطني البلدان الاخرى . ومن اقرب الشواهد على ذلك تعيين رالف بانس والسيدة أديث سامبسون في منصبين من مناصب « الامم المتحدة . » ولمثل أغراض الدعاية هذه ، يتظاهر الرئيس ترومان بالعطف على قضية الزوج ويؤيد مشروع حقوق مدنية يهدف الى تحسين احوال الشعب الزنجي . فهو يلوم الكونغرس على عدم اقراره هذا المشروع ، ولكنه لا يحاول النضال من اجل اقراره ، ولا يعبىء قوى حزبه لانجاحه ، ولا يتنكر لاعضاء هذا الحزب طراودة من ضروب البسالة ما جعله مثلاً يضرب في الفؤة والرجولة والبأس الشديد ، ولم يسقط في الميئات الا بعد ان اصيب في احد عقبه بسهم مسوم سدده اليه « باريس » . وهكذا يكون المقصود من « عقب آخيل » هنا « نقطة الضعف » في الاستعمار الاميركي . [العرب]

الذين يتزعمون حملة الكفاح ضد المشروع . وهو موقف مختلف جداً من مواقف العزم والصلابة التي يتخذها ترومان والحزبان الديمقراطي والجمهوري كلما رغبتوا في اقرار تشريع يتصل من قريب او بعيد بالاستعداد للحرب او بالتوسع الخارجي .

٤. النقطة الرابعة والدول غير المتطورة



في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٩ خاطب الرئيس ترومان جمهوراً من نساء الحزب الديموقراطي فقال :

« نحن مشهورون ، بعض الشيء ، بالمعرفة التقنية ... technical ... وما أبتغي أن اقوم به هو ان اقدم الى شعوب العالم هذه المعرفة وذلك الفن ... لخدمة السكان ومصالحهم لا لاستغلالهم واستئثارهم . وهذا هو المعنى الذي تفيد به النقطة الرابعة .

« ... إني لأقف في مكثبي وألقي نظرة على مصوّر الكرة الارضية الذي قدمه اليّ الجنرال إيزنهاور ... المصوّر نفسه الذي اصطنعه ليكسب الحرب في اوروبة .

« اني لأرى انهاراً واودية ضخمة غير متطورة ... وليس من ريب في ان نهري الفرات ودجلة يمكن ان يجوّلا من جديد الى جنة عدن . ففي عهد نبوخذ نصر كان ذلك الوادي يُطعم ما بين اثني عشر مليون وخمسة وعشرين مليون نسمة ... وان في استطاعته ان يفعل ذلك كرّة اخرى ... »

وليس هذا اول وعد استعماري 'وجهه الى الشعوب المستضعفة ، ولكنه في اغلب الظن اكثرها اسرافاً . فطوال تاريخ الاستعمار

كان الحكام يغطون اغراضهم الاستثمارية بورقةٍ من تينٍ ينسجون اليافها من تظاھرهم بالحرص على خير الفئات المستثمرة ومصحتها .
و الواقع ان الرئيس ماك كينلي McKinley برؤاستيلاء الولايات المتحدة على الفيليبينيين بقوله إن هذا الاستيلاء واجب علينا لـ «لرفع مستوى « الفيليبينيين و « تمدينهم » و « تنصيرهم » . . . و لكن الشيء الوحيد الذي ارتفع مستواه، بعد الفتح، هو ارباح الشركات التي استبدت بالاقتصاد الفيليبيني وسخرته لمصالحها . . .

وعندما قصد هارفي فايرستون، احد ملوك المطاط الاميركيين، سنة ١٩٢٥، الى ليبيريا احاط رحلته هذه بهالةٍ من الدعاية الصارخة حول الخطط التي رسمها لخدمة تلك البلاد ونقل المدينة الى اهلها . حتى اذا انقضت خمس وعشرون سنة على هذا الاعلان كانت الحضارة الوحيدة التي حملها فايرستون الى ليبيريا هي مجموعة من القواعد الجوية والبحرية الاميركية ومنجم حديدٍ تملكه شركة الفولاذ الجمهورية . * فلا يزال العمال المشتغلون في المزارع يعبأون من افراد القبائل الاهلية بطريقة العمل الالزامي الافريقية المألوفة . ولا يزال الاميركيون يدفعون الى كلٍ منهم ثمانية عشر سنتاً اجراً يومياً . وقد اطلقوا عليهم الرصاص ، سنة ١٩٥٠ ، عندما اضرخوا مطالبين بزيادةٍ في اجورهم لا تعدو ثلاثة سنتات يومياً !!
وفي العقد الرابع من القرن الحالي وضع صمير ويلز ، خبير الرئيس روزفلت في شؤون اميركة اللاتينية « سياسة الجار الصالح » Good Neighbor Policy التي افترض ان تمثل اطراحاً

* احدى الشركات الاممكية الكبرى ، وقد مر ذكرها . [المغرب]

لـ « ديبلوماسية الدولار » وأخذاً بسياسة جارية تقوم على إسداء « المعونة غير الانانية » الى دول اميركة اللاتينية ابتغاء تطوير اقتصادها وتعزيزه . فلما كانت سنة ١٩٣٩ كتب المراسل الديبلوماسي بليز بواز يقول : « الحق ان السياسة الاميركية تسمى ابداً الى بسط سلطتها على اميركة اللاتينية كلها... بقي على صخر وياز ان يبدع اسلوباً ينجذع الناس عن حقيقة السياسة الاميركية ويظهرها بمظهر البراءة والتجرد الخالصين ، في نصف الكرة الغربي... » *
 والواقع ان كثيراً من ملامح النقطة الرابعة الحقيقية يمكن ان تُرى من خلال تصريحات عرابيها والمدافعين عنها. ففي ٣٠ آذار سنة ١٩٥٠ بسط ناظر الخارجية دين اتشيسون ، امام لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ، الاسباب الموجبة لبرنامج النقطة الرابعة. فقال إن ثاني السكان في البلدان المتخلفة اقتصادياً لن يوتضوا الفقر والمرض اسلوباً لهم في الحياة ، بعد اليوم ، واهاب بالراسمالية ان تقدم حلاً لهذه المعضلة وإلا وجه هؤلاء السكان وجوههم شطر الشيوعية . وليس من ريب في ان مخاوف اتشيسون في محلها لأن تلك الشعوب قد رأت الى النجاح البالغ الذي اقترنت به الطريقة الشيوعية في آسية الوسطى السوفياتية التي كانت في يوم من الأيام مستعمرات قيصرية معدّمة فأخذت اليوم بأسباب الرقي وُصّعت تصنيعاً زاهراً وغدت تشارك على قدم المساواة في انشاء الحياة بالاتحاد السوفياتي .

* Blair Bolles, «Sumner Welles, a Close-up Portrait», in *Scribner's Commentator*, Dec., 1939.

فهل يقدم إتشيسون بديلاً عملياً يستطيع ان يضاھي البرنامج
الأشتركي الذي اثبتت الايام نجاحه ؟ انه حين ينتهي الى الكلام
التفصيلي جدير بأن يخيب آمال ايما إنسان يتوقع العون من
واشنطن في التطور الاقتصادي فهو يقول : « احسب ان هناك
فكرة شائعة تذهب الى اننا سوف ننشيء مصانع كبيرة ومناجم
للك الشعوب المتخلفة اقتصادياً . فأنا اعلن ههنا ان ذلك غير
صحيح ... »

واذا كانت هذه الفكرة شائعة شيوعاً كبيراً فلأن رجال
حكومة واشنطن ظلوا طوال عامٍ بكامله يروجون للاسطورة
القائلة بأن الولايات المتحدة عازمة على ان تنهض بعبء برنامج
تطويري اصيل . ثم ما الذي يبقى من هذا البرنامج إذا استبعدت
المساعدة الجدية في ميدان التصنيع ؟ ...

كل ما يبقى هو « مساعدة » الفنين الاميركيين . وقد اسهب
اتشيسون في عرض الامثلة على ذلك ، فنص على ان خبيراً اميركياً
اوصى احد المزارعين باستعمال سماد نيترات الصوديوم ، فعمل
المزارع بنصيحة الخبير فبلغ إنتاجه من الحنطة ثلاثة اضعاف إنتاجه
السابق ... ولكن اي نفع في مثل هذه النصيحة للكثرة الغامرة
من الفلاحين الفقراء الذين لا قبل لهم بشراء الأسمدة التجارية ،
والذين لا يملكون ارضاً ما ولكنهم يكسبون عومهم من اجل
رفاهية الامراء الأقطاعيين والشركات الاستعمارية ؟ فواضح إذن
ان البرنامج اللإستعماري الحقيقي - الأرض لاولئك الذين
يحرثونها - خليق بان يكون اكثر استهواءً للفلاحين في البلدان

غير المتطورة ، ومن هنا كان هو البرنامج العملي الأوحده .
وَمثلٌ آخر من اتشيسون : « في استطاعتنا ، مثلاً ، أن
نساعد شعوب تلك البلدان في أمورٍ من مثل تعداد السكان
بالأساليب الحديثة ووضع الاحصائيات الحيوية . وليس من حاجة
الى رأس المال الموظف من اجل القيام بهذا كله . »

أجل ، فهذه « المساعدة الفنية » « رخيصة » جداً . « وليس
من الضروري ان يكون الخبراء ثقاتٍ من الطراز الأول في
فروع اختصاصهم . ولا ريب في ان هذا العمل يجب ان يستهوي
الشبان الاميركيين الذي يتمتعون ببعض الكفاءة والخبرة .
وأحسب ان في استطاعتنا ان نقع على مئات من الرجال الصالحين
في الدوائر الحكومية والبلدية ، وفي المدارس والجامعات ، وفي
المزارع والمصانع ومنظمات البحث الخاصة . والمشكلة الآن
تتلخصُ في البحث عن هؤلاء الرجال ، وإخضاعهم لتدريب إضافي
بسيط ، ثم اقناعهم بالسفر الى الخارج في خدمة امتهم وبلادهم . »
ببضع مئاتٍ من الشباب الطالب يعترزم اتشيسون ان يسدَّ
حاجات ثلثي سكان العالم ، وان يقفَ اندفاعهم نحو التحرر
الوطني ! وينبه ناظر الخارجية مستمعيه الى ان برنامجهم « قد يحتاج
— إلا في احوال قليلة — الى خمس سنوات او عشر سنوات او
اكثر من ذلك ايضاً لكي يؤتي ثماره اليانعة . حسناً ، إن عشرأ
من السنوات لا تعدو ان تكون دقيقةً في حياة الأمة ، واقل
من ثانية في حياة الحضارة . »

والواقع ان خمس سنوات او عشرأ تعني حياةً او موتاً ،

شبعاً أو جوعاً ، صحةً أو مرضاً ، ساءاً أو حرباً ، بالنسبة الى
مئات الملايين من البشر . . .

إن الناس لا يستطيعون الانتظار . وإنهم لن يأخذوا بفلسفة
اتشيسون في « الدقائق » و « الثواني » . ولا خلاف في ان قيمة
برنامج الدعاوية محل شكٍ وارتياب . فمالم هذه الضجة كلها ؟ وما
هي الحقيقة وراء هذه الوعود الفارغة ؟

واليك هذا المثل الذي يتورثك كيف تعمل « المساعدة
الفنية » في الواقع . قال اتشيسون :

« لقد دعت الحكومة البرازيلية ايضاً ثلاثة جيولوجيين
اميركيين رسميين لمساعدة خبراءها في البحث عن مصادر جديدة
للمواد الاستراتيجية . وقد نتج عن هذه المساعدة المتواضعة اكتشاف
منجمين من اضعف مناجم المنغنيز في نصف الكرة الغربي ، منجمين
لا يُقوّمان بما لهما عظم . »

ولكن مستر اتشيسون يحجم ، في تواضع ، عن الاشارة الى
هذه الحقيقة : أن « المنجمين الذين لا يقوّمان بما لهما عظم » إنما
تدفق خيراتهما على « شركة بيت لحم للفولاذ » Bethlehem
Steel Co. لا على الشعب البرازيلي . ومن هنا نرى ان برنامج
المساعدة الفنية لا يعدو ان يكون ، في جوهره ، تصيداً مكثفاً
للمواد الاولية تقوم به الحكومة الاميركية لمصلحة الشركات
الاحتكارية في وول ستريت . . .

بيد ان إسداء المساعدة الفنية الى البلدان غير المتطورة ليس غير
الجزء الاصغر من برنامج النقطة الرابعة . قال اتشيسون : « وعلى

اية حال ، فنحن نضع تو كيداً شديداً على استشارة المؤسسات الخاصة
للمشاركة في هذه المشروعات لا من طريق تقديم الرساميل
فحسب ، بل طريق تقديم البراعات التقنية technical والادارية
التي تأتي مع الرساميل ايضاً . »

وتلك هي القصة القديمة التي تتحدث عن تقديم المساعدة الحكومية
لتصدير الرساميل من قبل الشركات الاحتكارية ، والتي تهدف
آخر الأمر الى إبقاء الدول المستضعفة على حالها من التأخر والفقير .
ولكن كيف تقدم هذه المساعدة الحكومية ؟ عن هذا السؤال
يجيب اتشيسون :

« يجب ان يثق اصحاب الرساميل ان ممتلكاتهم لن تصادر من
غير ما تمويض عادل ، وان في ميسورهم ان يخرجوا ارباحهم
المشروعة ورأس مالمهم من البلاد ، وان تكون لهم حرية معقولة
في إدارة اعمالهم في حدود القانون المحلي المطبق على الجميع بالتساوي .
ذلك ، بكلمة موجزة ، هو جوهر مشكلة توظيف الرساميل ، وإنها
كما ترون مشكلة ثقة »

ثقة بأن شيئاً لن يحول دون الشركات الاحتكارية الكبرى
واقتناص الارباح الفاحشة وإخراجها ؛ ثقة بأن حركة التحرر
الوطني لن تنهض يوماً للمطالبة بثروات البلاد القومية ؛ ثقة بأن
الشركات الاحتكارية ستكون قادرة على ان تعمل كما يحلو لها في
البلدان الأجنبية . . .

ذلك هو الهدف الحقيقي الذي يرمي اليه مشروع النقطة الرابعة .

وعلى ضوء هذا الهدف اتخذت التدابير العملية لأنجاع المشروع .

وهذه التدابير تشمل « أ » عقد معاهدات مع البلدان الأجنبية من أجل اطلاق يد الاحتكارات الاميركية في العمل ؛ « ب » سن الحكومة الاميركية تشريعات تضمن ارباح هذه الشركات واموالها الموظفة ؛ « ج » وضع تشريعات خاصة تخفض الضرائب على الارباح التي تجنيها الشركات من المشروعات الخارجية . وحتى هذا كله ليس كافياً :

« ولكن حين تجمعون هذه الاشياء كلها فلا ريب في انكم ستجدون ان ليس ثمة طريقة لا يتطرق اليها الوهن لضمان حقوق المسهمين في هذه المشروعات وحياتها من مختلف المخاطر التي تواجهها في اجزاء كثيرة من العالم اليوم . »

وهكذا يؤكد اتشيسون انه يتعين علينا ان نسعى الى ايجاد « المناخ الملائم » لتوظيف الرساميل . ولكن ماهو « المناخ الملائم »؟ إنه شعب مستكين مدعور يخاف ان يقاتل من اجل مصالحه الخاصة . إنه يقتضي سحق حركة التحرر والقضاء على الاستراكية حيثما وجدت . ويكشف ناظر الخارجية الستار عن حقيقة الاهداف التي تقصد

اليها الولايات المتحدة من تصدير الرساميل الاميركية في قوله : « نحن ننفق المليارات على الدفاع العسكري ، كما ينبغي لنا ان نفعل . ونحن ننفق مليارات اخرى على تدعيم الحياة الاقتصادية في اوروبة ومناطق حيوية في الشرق الأقصى ، كما ينبغي لنا ان نفعل . ونحن ننظم ضروب الدفاع المشترك من طريق معاهدة شمالي الأطلسي وبرنامج المساعدة العسكرية . »

ومن هنا نرى ان مقتضيات الاستغلال الاستعماري المكثف

لا تزال هي هي : تسلط العصا على جنوب المستعمرين . والواقع ان برنامج النقطة الرابعة بكامله يبدو من خلال تصريحات انشيسون مجرد حجاب من حجب الدعاية يشن رأس المال الاميركي من ورائه هجومه العالمي في مبادئ السياسة والاقتصاد والحرب . فاذا جئنا الى البلدان المستضعفة وجدنا ان وعود ترومان للشعوب المتخلفة في مضمار الرقي قد تقلصت الى بضعة خبراء من الدرجة الثانية في حين ضرب صفحاً عن التصوير الاقتصادي الفعلي بالكلية .

ولكن وضع برنامج على الورق لا يتراز الارباح الفاحشة من طريق الاستغلال الاستعماري المكثف ومن أجل الحرب المبنية على ذلك الاستغلال شيء ، وتحقيق ذلك البرنامج شيء آخر . وتوقيع رجل الدولة السائر في ركاب الاستعمار تلى وثيقة يبيع بها بلاده شيء ، وتسليم تلك البلاد الى المستعمرين شيء آخر . فقد كانت حكومة الكومنتاغ في الصين من اوائل الحكومات التي وقعت على معاهدة من طراز معاهدات النقطة الرابعة التي تفضي الى التخلي عن السيادة الوطنية الاقتصادية بكاملها للشركات الاحتكارية الاميركية . ولكن الشيوعيين الصينيين سارعوا الى تمزيق تلك المعاهدة ، وأسقطوا حكومة الكومنتاغ ، فذهبت آمال وول ستريت ادراج الرياح .

إن حكام البلدان المتخلفة اقتصادياً ليرحبون اليوم ببرنامج النقطة الرابعة ، ولكنهم يخشون جميعاً ان يصيروا بسبب ذلك الى ما صار اليه شيانغ كاي تشيك . ورأس المال الاميركي

يشار كهم مخاوفهم هذه ، ولكنه لا يستطيع ان يجد حلاً .
وليس ثمة مخرج سهل من هذا المأزق . فبسبب من الاتجاه
الشعبي العالمي العنيف نحو الحياة الكريمة والاستقلال الوطني
الصحيح صار يتختم على المشاريع الهادفة الى استعباد الشعوب أن
ترتدي لباس الوعود الكاذبة . ولكن إغداق الوعود ثم إخلافها
يؤجج من نار المقاومة الشعبية ويعطل جو الانقياد والتراخي في
الوطنية الذي ينمو فيه رأس المال الاستعماري ويزدهر .
وعندما يجتد الجدد يُخلى الدجل السياسي مكانه للقوة المسلحة .
ذلك ان المؤتمرات والبرامج الاقتصادية تؤدي آخر الأمر الى
الحالفات العسكرية ، ومواثيق مكافحة الشيوعية ، والغزو المسلح
من جانب الاستعمار الأميركي ، كالذي حصل في كوريا .
ولكن النضال العالمي في سبيل حياة افضل قوي الى ابعاد
الحدود ، فليس في ميسور الدجل السياسي او القوة المسلحة ان
يصدّ تياره العارم . والذي لا ريب فيه ان شعوب العالم سوف
تكسب الحق في التطور الاقتصادي من طريق النضال ضد الاستعمار
و ضد عملائه الوطنيين .

٥ . استراتيجية السيطرة على العالم



في الحرب العالمية الثانية أيد شعب الولايات المتحدة النضال ضد المحور لينقذ نفسه وشعوب البلدان الأخرى من الحراب على يد الفاشستين الألمان والعسكريين اليابانيين . وقد أكد رجاله الرسميون دوافعنا غير الأنانية وزهدنا في ممتلكات الشعوب الأخرى وأراضيها . وهي دعوى صحيحة إذا كان في الكلام إشارة إلينا نحننا شعب الولايات المتحدة . فالكثرة الغامرة من الشعب الأميركي لا تستسيغ الفتوح الخارجية ولم تكن كذلك في يوم من الأيام . أما إذا كانت الإشارة إلى الأسر الحاكمة التي تسيطر على شركات النفط والمعادن وعلى مصارف وول ستريت ، فليس من ريب في أن هذه الدعوى كاذبة مائة بالمائة . فقد سعى هؤلاء جميعاً ، طوال الحرب العالمية الثانية ، في سبيل الربح الخيالي سعياً عندياً حديثاً واندفعوا للاستيلاء ، بواسطة الحرب ، على الممتلكات الأجنبية وعلى مناطق النفوذ في مختلف بلدان العالم . وإذا كانت كلمتهم هي العليا في دوائر الدولة المركزية الأكثر حيوية فقد عملت الحكومة خلال الحرب العالمية الثانية والسنوات التي تلت ، على إشباع شهوات الشركات الاحتكارية الأميركية وسد مطالبها التي

تجاوزت اليوم جميع الحدود والحدود .

فمنذ مطلع الحرب التي شنتها الاستعماران الألماني والياباني ادرك اصحاب الرساميل الاميركية انهم سيكونون هم كاسيها الرئيسيين . ومن تلك اللحظة تحفز اولئك الرجال الذي يسروا للمعتدين شن الحرب بما نقلوه اليهم من مقادير ضخمة من النفط ، والآلات ، وانواع المعادن ، وبقانون الحياض الذي اقره الكونغرس سنة ١٩٣٧ ، وأتلعوا اعناقهم ...

لقد رأوا بتأقب نظرهم ان هذه الحرب ستكون حرباً طويلة الأجل ، كالحرب العالمية الأولى ، وان في ميسورهم ان يجنوا من ورائها مكاسب هائلة وينتزعوا مناطق برمتها بما تملكه الدول الاستعمارية الاخرى ، وبريطانية منها بخاصة ، بوصفها صاحبة اكبر امبراطورية على ظهر هذا الكوكب .

واكتسح النازيون بلدان اوروبا الغربية ، وهددوا من قاعدتهم الصناعية المتسعة انكثرة بالفوز . فاذا الاستعمار البريطاني في حاجة ماسة الى تأييد مادي كبير من الولايات المتحدة ثم الى تأييد عسكري ايضاً ، لكي يبقى على قيد الحياة .

وفرض امراء وول ستريت شروطهم . وقد رسمت خطوطها الكبرى في خطاب شهير القاها فيرجيل جوردان رئيس مجلس المؤتمر الصناعي الوطني قال :

« مهما كانت النتيجة التي ستؤول اليها الحرب فقد اندفعت الولايات المتحدة في اتجاه استعماري في الشؤون العالمية وفي كل مظهر من مظاهر حياتها ... وفي احسن الاحوال ، ستصبح

انكاثرة شريكاً ثانوياً في استثمار انكوسكسوني جديد. تكون فيه موارد الولايات المتحدة الاقتصادية وقوتها العسكرية والبحرية مركز الثقل» *

لقد تكشّف الرئيس فرانكلين روزفلت عن عواطف مناوئة للفاشية ، وسعى ان يحسّن احوال الشعوب المستعبدة ، والى ان يقيم علاقات ودية وصداقة مع الاتحاد السوفياتي . ولكن لم يكن هو صاحب الكلمة العليا . ذلك ان روزفلت ما كان رئيساً لحكومة شعبية صحيحة ولكن رئيساً لجهاز حكومي تسيطر بيوتات وول ستريت على مفاتيحه العسكرية والديبلوماسية والسياسية جميعاً . لقد كان روزفلت قائداً لهذه القوى ، قائداً حكيماً ومعتدلاً ، ولكنه خاضع ابدأً لسلطان الطبقة الحاكمة . كان روزفلت قائداً اعلى للقوات الاميركية ولكن توجيهه الحرب كان وفقاً لستراتيجية الاستثمار الاميركي التوسعية الأساسية . وطالب روزفلت بـستراتيجية عسكرية تستطيع ان تهزم هتار باسرع وقت مستطاع ، ولكن قادة الاستثمار الاميركي تعاونوا مع قادة الاستثمار البريطاني على انفاذ استراتيجية عسكرية تُقصد بها الى استنزاف قوى الاتحاد السوفياتي ، واحتلال القوات الاميركية البريطانية معظم المناطق الاستراتيجية . وشجب روزفلت سياسة ابتزاز الثروات من المستعمرات وتحدث عن « سياسة الجار الصالح » في اميركة اللاتينية ، ولكن رجال وول ستريت -

* Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 18, 1940.

صمير ويلز ، ونلسون رو كفار ، وجس جونز - وجهوا الحرب بطريقة خليقة بان تقوي برائن ذلك الابتزاز وتزيد في افكار اميركة اللاتينية .

وما دامت الولايات المتحدة خاضعة لسلطان رأس المال المالي فيتمين عليها ان تسلك سبيل التوسع الاستعماري ، وتكيف ستراتيجيتها المباشرة وفقاً للاحوال الخاصة المؤثرة في الاستعمار الاميركي والاستعمار العالمي في وقتٍ بعينه . وقد فسر فيرجيل جوردان ذلك في ما يلي :

« إننا قد نخشى لفظة الاستعمار البغيضة ، غير المألوفة وكثيراً منا يُؤثرون أن يُخفوها ، على الطريقة الاميركية الشائعة ، وراء حجابٍ من عبارة غامضة مثل « الدفاع عن نصف الكرة الغربي » . ولكن اميركة مقدرٌ لها ان تسلك هذه السبيل ، شعورياً او لا شعورياً ، بحكم مزاجها وقواها ومواردها وبدافعٍ من الاحداث العالمية ، لا في السنوات الاخيرة فحسب ، بل منذ مطلع القرن . . . هذه الاحداث قد دفعتنا في هذه السبيل ولم تمنحنا الفرصة لاقامة استعمار حديث ، فحسب ، بل زودتنا بالادوات الاقتصادية والاتجاهات الاجتماعية ، ثم بالاعداد والسجايا السياسية المساعدة على ذلك وليس لنا ، في الحقي ، مندوحة عن السير في الطريق التي سلكناها خلال ربع القرن الأخير ، وفي الاتجاه الذي اتخذناه في فتح كوبا والفيليبين ، وفي مشاركتنا في الحرب العالمية الأخيرة . » *

* المصدر السابق نفسه .

توسع الاستعمار الامبريكي زمن الحرب

كانت اهداف رول ستريت الرئيسية العاجلة خلال الحرب العالمية الثانية إقصاء جميع المنافسين الاستعماريين من نصف الكرة الغربي وفرض السيطرة الاميركية المطلقة على المحيط الهادي ، وعلى جزء كبير من الشرق الاقصى . *

ولقد تحققت اهداف وول ستريت في نصف الكرة الغربي تحقّقاً كاملاً . فمنذ اللحظات الاولى من الحرب اقصى الاستعمار الالمانى عن المسرح وكان قد نخطا خطوات واسعة في اميركة اللاتينية ، وبخاصة في الارجننتين والبرازيل . فصادرت حكومات اميركة اللاتينية الرساميل الالمانية الموظفة هناك ، والبالغة نحو مليار دولار ، نزولاً عند اوامر الولايات المتحدة . كذلك صادرت الحكومات الاميركية الجنوبية الممتلكات الايطالية واليابانية ، ولم تكن على مثل هذه الضخامة . ولم يمض غير طويل حتى اعيد تنظيم كبرى هذه المؤسسات تحت سيطرة وول ستريت المالية . ومن اهم هذه المؤسسات شركات الطيران من مثل شركة خطوط كوندور الالمانية وشركة خطوط لاتي الايطالية في البرازيل ، وشركة خطوط سكاكفا في كولومبيا . وقد كان لهذه الخطوة ، في قارة تعتمد اعظم الاعتماد على المواصلات الجوية ، اثرٌ بعيد جداً في إحكام

* وقد عبر جوردان عن هذه الاهداف بالكلمات التالية : « جنوباً في نصف الكرة الغربي ، وغرباً في المحيط الهادي ، يتخذ ركب الاستعمار سبيله ؛ وبلغة القوة الاقتصادية الحديثة والاعتبار prestige السياسي يفتقل الصوبخان اليوم الى الولايات المتحدة . »

قبضة الاستعمار الاميركي الشمالي على خناق اميركة الجنوبية .
وانتهى الحليف الضعيف ، الاستعمار الفرنسي ، الى مصير مشابه ،
فقد تقلصت الرساميل الفرنسية الموظفة في اميركة اللاتينية ،
والبالفة ١٦٠٠ مليون دولار سنة ١٩١٣ ، تقلصاً كبيراً بعد الحرب
العالمية الاولى ، ولم يبق منها غير ١٠٠ مليون دولار بعد الحرب
العالمية الثانية .

اما الضربة الرئيسية فتمتدُ وُجْهت ، في نصف الكرة الغربي ، الى
نخس وول ستريت التاريخي ، وحليفه زمن الحرب ، أعني الاستعمار
البريطاني .

فمقابل عددٍ معين من المدمرات أكرهه البريطانيون على التخلي
عن قواعدهم العسكرية الرئيسية في بحر الكاريبيان والسواحل
الكندية . ومقابل مقادير بعينها من الاسلحة اضُطروا الى الانسحاب
من كثيرٍ من المؤسسات التي كانت لهم فيها اموال موظفة في
الولايات المتحدة واميركة اللاتينية و كندا . ولم ينطو ذلك دائماً ،
في اميركة اللاتينية ، على تحويل الملكية تحويلاً مباشراً الى رأسمالي
الولايات المتحدة . ولكن حتى في الاحوال التي بيعت فيها الاسهم
البريطانية لاحدى حكومات اميركة اللاتينية ظل المجال متسعاً
امام رساميل وول ستريت لتعمل وتستغل .

ففي كندا كانت الرساميل البريطانية الموظفة تبلغ سنة ١٩٣٩
مليارين ونصف مليار دولار فاذا بها تصبح سنة ١٩٤٧ ملياراً
وستمائة مليون دولار ، بينما كانت رساميل الولايات المتحدة الموظفة
هناك تبلغ اربعة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٣٩ فاذا بها

تصبح خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٧ * . وفي اميركة اللاتينية انحدرت الرساميل البريطانية الموظفة من اربعة مليارات ونصف مليار دولار سنة ١٩٣٩ الى مليارين وستمائة مليون دولار سنة ١٩٤٩ ، بينما زادت رساميل الولايات المتحدة الموظفة هناك من ثلاثة مليارات وسبعمائة مليون دولار سنة ١٩٤١ الى خمسة مليارات ومائتي مليون دولار سنة ١٩٤٨ ** .

حتى اذا وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها كانت تعريفات المعاملة الفضلى هي كل ما تبقى من الصلات الخاصة التي كانت تربط انكاثرة و كندا . ذلك ان سياسة كندا الاقتصادية والديبلوماسية والعسكرية اُست خاضعة خضوعاً كاملاً للولايات المتحدة . وفي معاملاتها مع كندا انتهت بريطانية اليوم الى ان تواجه بلداً جديداً من بلدان « الدولار » . ليس هذا فحسب بل لقد اصبحت كندا ساحة تدريب لقوات الولايات المتحدة ، وانتقلت ثرواتها النفطية والحديدية المكتشفة حديثاً الى الشركات الاحتكارية الاميركية ، انتقالاً آلياً .

وفي اميركة اللاتينية تقلصت الرساميل البريطانية تقلصاً أبعد ، عقب الحرب العالمية الثانية ، بسبب من إقدام الحكومات الموالية لواشنطن على شراء الممتلكات البريطانية . فخلا الجو للاستعمار الاميركي ولم يبق له منافس في تلك الديار ، وبخاصة في البرازيل اكبر بلدان اميركة اللاتينية . ولم تحتفظ الولايات المتحدة بشبكة

* *Balance of Payments Yearbook, 1938, 1946, 1947, p. 101.*

** *Wythe in Foreign Commerce Weekly, Apr. 11, 1949, p. 42.*

البعثات والقواعد العسكرية التي اقامتها هناك ، اثناء الحرب ،
فبحسب بل وسمت من نطاقها وقوت من فعاليتها ايضاً ؛ ثم كان
برنامج توحيد الاسلحة ففضى على البقية الباقية من عناصر الاستقلال
في تلك البلدان .

وهكذا شهد عالم ما بعد الحرب هذه القارة بكاملها تستجيب
لضربات السوط المتلاحقة في واشنطن وواشنطن . ومن بلتاغونيا * الى
بافن لاندي ، دان نصف الكرة بالطاعة والولاء لأمرء رول
ستريت .

وحسبنا هذا القدر من الكلام على توسع الولايات المتحدة
جنوبي نصف الكرة . فما الذي يمكن ان يقال عن التوسع في
اتجاه الغرب ، في المحيط الهادي ؟

لقد ألمعت الاحتكارات الاميركية الى رغبتها في ان توثق
الامبراطوريات الأوروبية في الشرق الأقصى حتى قبل ان
تنفخس الولايات المتحدة انفساً فعلاً في الحرب العالمية الثانية ..
والواقع ان النقطة الحرجة التي وقفت عندها المفاوضات الاميركية
اليابانية - النقطة التي قالت واشنطن عندها : الى هنا فبحسب -
كانت الهند الصينية الخاضعة للفرنسيين ! فعندما أعلنت نظارة
الخارجية الاميركية الديبلوماسية اليابانية ان غزو الهند الصينية
سوف يُعتبر عملاً عدائياً ادرك الاستعماريون اليابانيون ، الراغبون
هم انفسهم في ابتلاع الشرق الأقصى بمرته ، ان الحرب لا بدت

* اقليم في الارجننتين في أقصى الجنوب من اميركة اللاتينية . [المغرب]

** في شمالي اميركة ، غربي غرينلندة . [المغرب]

واقعة ، وشنوا هجوماً عليهم على قوات الولايات المتحدة العسكرية .
وفي خلال سنوات الحرب احتلت الولايات المتحدة جميع
الجزر الاستراتيجية المهمة في المحيط الهادئ واحتفظت بسلاطنتها
عليها في ما بعد . وأخذت الفلبين للاستعمار الاميركي نزلة
اخرى واتخذت نقطة انطلاق لفتوح جديد .

وعلى الرغم من ان الرساميل البريطانية الموظفة في الصين كانت
تبلغ اضعاف الرساميل الاميركية الموظفة فيها فقد استبعدت
القوات البريطانية استبعاداً كاملاً من جميع العمليات الحربية في
الصين ، وبعد الحرب تحولت تلك البلاد - مؤقتاً - الى مستعمرة
اميركية على رأسها شيانغ كاي شك .

أما في اليابان فإن الاحتلال الاميركي لم يوجه ضد الاتحاد
السوفييتي والشعب الياباني فحسب بل ضد مصالح بريطانيا التجارية
والمالية ايضاً . فقد استولت الاحتكارات الاميركية على جميع
مراكز التجارة وتوظف الرساميل المهمة ضاربة بالاحتجاجات
البريطانية عرض الحائط . وانشيء بين البيوتات المالية اليابانية
وبين وول ستريت تحالف جديد خليق بان يجعل اليابان مستعمرة
ذلولاً للولايات المتحدة لولا يقظة الشعب الياباني الذي لا بد ان
يقول آخر الأمر كلمته الجريئة الحاسمة .

وبفضل سيطرة الولايات المتحدة على المحيط الهادئ ،
والفلبين ، والصين ، واليابان استطاع الاستعمار الاميركي ان يبدت
سلطانه المباشر المطلق على اكثر من نصف سكان الشرق الأقصى
وعلى القواعد التي تمكنه من فرض سيطرته على ساوهم .

ولم تكذب الحرب العالمية الثانية تخضع اوزارها حتى صار في
ميسور احد اعضاء الكونغرس الأميركي ان يزعم ان المحيط
الهاديء « هو محيطنا بلا جدال . » * وهكذا تحققت اهداف
جوردان في نصف الكرة الغربي وفي المحيط الهاديء جميعاً .

تلك كانت المناطق الرئيسية التي تم فيها التوسع الاميركي زمن
الحرب . ولكن الاستعمار الاميركي ووفق الى انتصارات اخرى
ايضاً ، فاذا بسيطرته على المحيط الاطلسي وعلى الجزائر الواقعة فيه
لا تقل عن سيطرته على المحيط الهاديء قوةً وشمولاً ، وإذا به
يهيمن على سلسلة من القواعد العسكرية في غربي افريقية وشمالها ،
ويمكن لسلطانه العسكري والاقتصادي في الشرق الأوسط من
طريق النفط السعودي والحيولة دون وقوعه بأيدي البريطانيين .
ليس هذا فيحسب بل لقد اشترى ، هو والاستعمار البريطاني ،
السياسيين والقواد العسكريين المنفيين الذين اعيدوا الى مراكز
القوة والساطان في معظم بلدان اوروبة الغربية وفي ايطالية
واليونان .

وهكذا تم إضعاف الاستعمار البريطاني ، وإحالة الى تسبع
للاستعمار الاميركي ، على احسن وجهٍ كان يحلم به وول ستريت !

الاستعمار الاميركي يطعم في توسع غير محدود

ولم تكذب الاهداف التي عبّر عنها جوردان تتحقق حتى غدت
تسمية obsolete ففي خلال الحرب العالمية افسحت هذه الاهداف

* Ed. V. Izac, quoted in *Washington Post*, Dec.2, 1946.

« المتواضعة » المجال لهدف ابعد : هو السياسة غير المحدودة على العالم . ولم يكن هذا الهدف نفسه غرضاً مطلقاً طويل الأجل ؛ لقد كان الغاية الاستراتيجية للفترة التي ستعقب الحرب العالمية الثانية مباشرة . وكان الاساسُ الاقتصادي لهذه الاستراتيجية نمو الطاقة الانتاجية الأميركية زمن الحرب ، وضغط الأرباح الاحتكارية التوسعي الذي اشرنا اليه في فصل سابق . أما الاساس العسكري لهذه الاستراتيجية فكان نمو سلاح القاذفات الثقيلة في اسطولنا الجوي نمواً مسرفاً غير متوازن ، وخلق شبكة عالمية من القواعد العسكرية لتلك القاذفات ، وبخاصة ظهور التنبه الذرية بوصفها أفضل الاسلحة التي ابتدعها الانسان ، حتى الآن ، في الاعتداء على جماهير الناس .

والسبيل الفعال لنجاح هذه الاستراتيجية تحقيق 'السيادة الاقتصادية والعسكرية على العالم الرأسمالي برمته، وتعبئة جميع القوى الرجعية في كل مكان تحت قيادة رأس المال الاميركي ، وانخراطاً شت الحرب على الاتحاد السوفياتي .

وقد نادى بمثل هذه الاستراتيجية وعملت من اجلها اكثر الدوائر المالية والعسكرية رجعيةً وتعصباً خلال السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الثانية . فلم 'تطل' سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ حتى كانت هذه القواعد تؤلف الاستراتيجية السائدة المتمتعة بتأييد العناصر الفعالة في دنيا المال .

وكانت الدلالات الدبلوماسية على هذه الاستراتيجية هي :

« أ » الدور الرئيسي الذي مثله الاستعمار الاميركي منذ سنة ١٩٤٥

في محاولة اقامة حكومة رجعية مناوئة للاتحاد السوفياتي في بولندا وهي الطريق التاريخي لغزو روسيا . « ب » سمي الولايات المتحدة لضم الارجتين الى منظمة الامم المتحدة ، في ربيع سنة ١٩٤٥ ، خارقةً بذلك المبادئ اللافاشستية التي تجسدت في مفاوضات دومبارتن أو كس شهيداً لتشكيل منظمةٍ للامم المتحدة .

أما دلالاتها الاقتصادية فكانت : « أ » قطع مساعدة « الأعاره والأيجار » عن الاتحاد السوفياتي بعد هزيمة اليابان مباشرة . « ب » رفض إسداء أيما مهونة اقتصادية لإعادة تعمير الاتحاد السوفياتي . « ج » خرق الاتفاق القاضي بنقل التسويات بطريق البحر من المانية الغربية الى الاتحاد السوفياتي .

وأما الدلالات العسكرية فتجلت في « أ » إرجاء فتح الجبهة الثانية حتى سنة ١٩٤٤ رجاء ان يؤدي ذلك الى إضعاف الاتحاد السوفياتي وإنها كه . و « ب » إلقاء القنابل الذرية على اليابان ، وهي بادرة لم يكن لها أي ضرورة عسكرية بالنسبة الى تلك البلاد ، وإنما قصد بها الى التهويل على الاتحاد السوفياتي ، على ما يفهم من كلام قاله الرئيس ترومان في بوتسدام اثناء مباحثاته مع الزعماء السوفيات : « إذا انفجرت هذه القنبلة كما أرجو ان تنفجر فستصبح في يدي مطرقةٌ أحطم بها رؤوس هؤلاء الصبية » . . . *

وقد جاءت جميع التطورات التي تمت منذ ذلك الحين وفق هذه الاستراتيجية . وانه ليتعين على المرء ان يعلم بها لكي يفهم

* Jonathan Daniels, *The Man of Independence*, p. 266, N. Y., 1950.

تفصيلات السياسة -- مشروع مارشال ، الحلف الاطلسي ، الحرب ضد كوريا الخ ... فلنذه جميعاً مكانها في استراتيجية السيطرة على العالم ، ولنذه جميعاً مكانها في الاستعداد للمرحلة النهائية من الخطة ، اعني الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، والجمهوريات الشعبية في شرقي اوروبه ، والصين .

والحق ان هذه الاستراتيجية لم تقدم يوماً الى الشعب الاميركي . ان الناظرين الرسميين بلسان وول ستريت ليواصلوا إسماع الشعب نغمات رسالتهم الهادفة الى « زعامة العالم » ، ولكنهم يعرضون عليه هذه « الزعامة » ملونة باروع الاصباغ الاخلاقية لكي يكفوا افواه المعارضين لاصطناع الدولة اداةً لفتح العالم ، ويحملوا الشعب الاميركي على الرضا باستعمال القنبلة الذرية ضد العزل والابرياء . إسمع الى الرئيس ترومان يقول بلسان محتكري وول ستريت في مناسبات مختلفات :

« ان العالم ليتطلع الينا اليوم لزعامته ... ان جوهر سياستنا الخارجية هو السلام . » *

« إن شعوب الارض ... لتتلع أعناقها اليوم الى الولايات المتحدة اكثر مما فعلت في اي وقت مضى ، مكبرة فيها جبهتها للخير وقوتها وزعامتها الحكيمة . فنحن لم نطمع بارض أحد ، ولم نفرض ارادتنا على احد . ان الاستعمار القديم — الاستغلال من اجل الربح الشخصي — لا محل له في خططنا . » **

* Harry S. Truman, State of the Union Message, Jan. 6, 1949.

** Truman, Inaugural Address, Jan. 20, 1949.

« وفي صوغ النتيجة سيمثل شعب الولايات المتحدة دوراً
وثيسياً . . . إن جميع الناس خلقوا متساوين . . . وان لهم
الحق في الحياة ، والحرية ، والسعادة على قدم المساواة . . .
اننا لا نستطيع أن نفضي عن العنف والظلم . . . ويتعين علينا
ان نلقي بثقلنا في كفة الحرية الكبرى والعمل لضمان حياة أفضل
لجميع الشعوب . . . [لنرضي] تلك الذات الكريمة القادرة التي
وضعت أمامنا مثل هذه الفرص الضخمة لخدمة النوع الانساني في
مقابلات الايام . » *

لا الاستعمار ، ولكن « الزعامة » . . . لا الاستقلال ، ولكن
« الحرية والعمل من اجل حياة افضل » . . . لا حرب الفتحة المبتدئة ،
ولكن « السلام » . تلك هي اذن اغراض الولايات المتحدة !

وقد عبّر عن جوهر الاندفاع الاميركي في سبيل السيطرة على
العالم أحسن التعبير رجل لم يلعب احداً مثل دوره الشخصي في
العمل على التمكين للرسميل الأميركية في العالم ، اعني ليو ويلتش
Leo D. Welch امين صندوق شركة ستاندرد للنفط (نيو جيرزي)
الذي اصرف منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ملياراً من الدولارات
وظفتها الشركة في المشروعات الخارجية ، وقبض ملياراً دولار
تقريباً من ارباح تلك المشروعات حتى الآن . . .

ففي اواخر سنة ١٩٤٦ ، بينا كانت الخطوط الكبرى لسياستنا
الخارجية رهن التحديد ، تحدث ويلتش ايضاً عن « الزعامة » ولكنه
عرّفها تعريفاً أصرح وأوضح ، قال :

* Truman, State of the Union Message, Jan. 5, 1950.

« ... تلك التبعة هي الزعامة الايجابية التوية في شؤون العالم
— سياسية واجتماعية واقتصادية — وإن من واجبنا ان نحقّقها
بأوسع ما تحتمله الكلمة من معنى . إن علينا ، بوصفنا اكثر دول
الارض إنتاجاً ، واقواها رساميل ، واغناها بالصناعة الآلية ،
ان نخزم امرنا ونتحمل المسؤولية التي يلقيناها على عاتقنا كوننا
غلاك غالبية الاسهم في تلك الشركة الكبرى التي يطالعون عليها
اسم العالم وليس ينبغي ان يكون ذلك الى أجل مسمى .
إنه واجب سرمدى لا يجوز التفريط فيه . » *

لقد تحدث هتار عن الرايخ الذي سيعمر الف سنة . أما ويلتش
فيتحدث عن حكم وول ستريت السرمدى . ولا تسخر من هذه
الفطرسه . فقد كان ويلتش منهمكاً في رسم السياسات التي يتعيّن
على وول ستريت انتهاجها ، وهي سياسات اتبعت في امانة
واخلاص ، وإنها لتنطوي على خطر حرب عالمية ماحقة .

وحدث ويلتش زملاءه من رجال المال على ان يقيقوا من سباتهم
الطويل ، وطلب اليهم ان لا يقعدوا بعد اليوم وينتظروا انهيار
الرأسمالية ، لأن مصالحهم تقضي بأن يتخذوا هم «وقف الهجوم :

« واذن فالمشروعات المالية الاميركية الخاصة بين امرين اثنين :
إما ان تضرب ضربتها وتنقذ مركزها في طول العالم وعرضه ، وإما
أن تواصل استرخاءها وتشهد جنازتها بأمر عينها والواقع ان
سياستنا الخارجية سوف تكون في المستقبل اكثر اهتماماً بسلامة

* Leo D. Welch at National Foreign Trade Convention,
Nov , 1946.

رساميلنا الموظفة في الخارج واستقرارها ، بما كانت في ايما وقت مضي . وليس من ريب في ان احترام رساميلنا تلك لا يقل اهمية عن احترام مبادئنا السياسية . . . »*

ولكن ما هي الاجزاء الرئيسية التي تؤلف ستراتيجية التوسع غير المحدود ؟ لقد عالج جوردان هذه المسألة منذ سنة ١٩٤٠ فقال : « اذا راجعنا صفحات الاختبار البريطاني عرفنا بعض الاشياء التي قد تعنيها تبعة الرجل الابيض هذه حين تنصدر لملها . إنها تنطوي على مسؤولية ضخمة قوامها جمع الموارد المالية التي تستند اليها واستخدامها وحفظها . »**

ان على الدولة أن تعي عدة مليارات ، كما هو واقع في مشروع مارشال ، لتعزز سيطرة الرساميل الاميركية على البلدان الاخرى . ولكن هذا ليس كل شيء » فنحن نعرف من بعض الصفحات الأشد سواداً في التجربة البريطانية خلال القرن الماضي انها تنطوي على الاحتفاظ بقوى بشرية وآلية ضخمة لا لمجرد الدفاع الوطني بل لكي تتم لنا سيطرة دولية فعالة ومستمرة تمكنا من إقرار السلم والنظام . ***

وهكذا يتعين على الاستعمار الاميركي ، بوصفه الاستعمار الغالب ، ان يسيطر على العالم عسكرياً . إن عليه ان ينشئ قوة مسلحة

* المصدر السابق نفسه .

** Virgil Jordan, at Investment Bankers Association, N. Y., Dec. 10, 1940.

*** المصدر السابق نفسه .

هائبة لا للدفاع الوطني ، ولكن للعدوان ، لفرض سلاطات الولايات المتحدة في كل مكان .

ولم يكن في ميسور جوردان أن يتنبأ ، سنة ١٩٤٠ ، بالحكم الألد الذي ينبغي على قوات الاستعمار الاميركي المساعدة ان توجه له لحره . حتى اذا انقضت ست سنوات لم يبق ثمة تردد أو ريب . فقد أوضح ويلتش لمستعبيه من كبار رجال المال والاعمال بعض العقبات التي تنهض في طريق المستعمرين الاميركيين من مثل نضال العمال في سبيل أجور أعلى ومن اجل الاشتراكية ، وكفاح الشعوب المستعبدة من اجل التحرر الوطني ، ومقاومة الدول الاستعمارية المنافسة لول ستريت الذي يعمل على زحزحتها عن مكانتها . ولكن العدو الرئيسي كان محدداً أتم التحديد في ذهنه : « إن جميع هذه القوى لتتضام في ظل النضال الكبير بين الاتحاد السوفياتي والدول الغربية ، هذا النضال الذي تصل ارتفاعاته الى كل زاوية من زوايا الكرة الارضية . »

٦ . محاولة استعمار اوروبه



تحتل اوروبه الغربيه المحلل الاول في برنامج وول ستريت للسيطرة على العالم . ولا غرابه في ذلك فهي تملك صناعةً متطورةً ويداَ عاملةً بارعة خليقتين بان تجعلها مصدراً من مصادر الربح الفاحش لمن يستطيع ان يهبط بها الى وضع استعماري او شبه استعماري . انها ، بما تملك من امبراطوريات قديمة ، مفتاح السيطرة على قسم كبير من افريقية وآسية . ليس هذا فحسب بل ان اوروبه الغربيه بفضل موقعها ونظام الصناعة والمواصلات فيها ، وقوتها البشرية في ميداني الصناعة والحرب ، هي القاعدة المنطقية الرئيسية للحرب الميئة ضد الاتحاد السوفياتي .

والواقع ان مصالح وول ستريت في اوروبه ليست جديدة . فبعد الحرب العالمية الاولى أنفقت حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من الدولارات لمساعدة المستعمرين الاوروبيين على خنق الثورات في هنغارية وبولنده وفنلنده ، وابتغاء القضاء على الجمهوريه السوفياتية الناشئة . حتى اذا توطدت دعائم الحكم الرأسمالي توطداً موقتاً في القسم الاكبر من اوروبه - وذلك حوالي سنة ١٩٢٣ - وظفت الشركات الاميركية عدة مليارات من الدولارات في

المانية ، وانكلترة ، وفرنسة ، وايطالية ، وغيرها من البلدان الاوروبية .

لقد كان الاستعمار الاميركي من القوة بمجلى استطاع معه ولوج اوروبة ، ولكنه كان لا يزال أعجز من ان يحاول بسط سلطانه عليها . وكانت الرساميل التي وظيفها في تلك القارة غير كافية لفرض سيطرة وول ستريت على صناعاتها الرئيسية . كذلك احتفظت البلدان الاوروبية بقوى مسلحة ضخمة وبجيئاتها السياسية الخاصة . ولم تقم القوات الاميركية فترة طويلة في اوروبة بعد انقضاء الحرب العالمية الاولى .

أما الحرب العالمية الثانية فقد نتج عنها توازن جديد في القوى بلغ الاستعمار الاميركي بفضل ذلك المرحلة التي عجز عن بلوغها عقب الحرب العالمية الاولى : أعني مرحلة القيام بمحاولة لاستعمار اوروبة . وهكذا عبات الحكومة ، وفقاً لتوجيهات وول ستريت التي عثبر عنها فيرجيل جوردان ، عشرات المليارات من الدولارات لتمويل هذه المحاولة ، وقدمتها في شكل قروض وهبات الى بلدان اوروبة الشمالية . أما الشعب الاميركي فقد قيل له ان هذه المليارات أنفقت لأطعام الشعوب الجائعة ، وانقاذ المؤسسات الحرة ، وصيانة استقلال هاتيك البلدان من العدوان . ولكن الغرض الحقيقي كان عكس ذلك .

والاستعمار الاميركي يصطنع أساليب مختلفة في محاولة فتح اوروبة . وتنظم هذه الأساليب الاتفاقات المالية المعقودة مع

* راجع الفصل السابق .

بعض الدول الأوروبية المفردة ، ومبدأ ترومان في اليونان وتركيا ،
ومشروع مارشال الذي يستغرق أوروبا الشمالية بكاملها
وينطوي على اتفاق ما يزيد على خمسة عشر مليار دولار ، وحلف
شمالى الأطلسي الذي ما برح ينمو ويتسع من حيث نطاق العمل ومداه .
ولهذه البرامج كلها مجموعة واحدة من الأهداف :

- ١ . السيطرة السياسية على أوروبا ،
- ٢ . السيطرة الاقتصادية على أوروبا ،
- ٣ . الاستيلاء على المستعمرات الأوروبية ،
- ٤ . إعداد القواعد العسكرية للحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

أسلوب الفتح التدريجي

وتصطنع الولايات المتحدة أسلوب الفتح التدريجي لبلوغ هذه
الأهداف الأربعة . فاذا أخذنا بريطانيا مثلاً وجدنا ان اتفاقية
القرض المعقودة بينها وبين الولايات المتحدة سنة ١٩٤٥ ، لم تفرض
عليها غير بعض الشروط العامة . ولكن هذه الشروط أضعفت
الاستقلال البريطاني الى درجة حملت لندن على ان ترضي شروطاً
أقسى وأغنف ، في ظل مشروع مارشال . وما هي الفترة حتى
وجدت الحكومة البريطانية نفسها مضطرة الى القبول بحلف شمالي
الأطلسي واتفاقات العون التي انطوى عليها .

ولسنا بجانب الحقيقة إذا قلنا ان بريطانيا انتهت اليوم الى ان
تصبح عضواً في « كومنولث الولايات المتحدة » ، وان استقلالها
عن سيدها قد يكون أوفر بعض الشيء من الاستقلال الذي كان

للهند في الامبراطورية البريطانية القديمة ، ولكنه اقل بعض الشيء من الاستقلال الذي تمتعت به اوسترالية في تلك الامبراطورية . وليس ذلك ، في الحق ، شيئاً قليلاً بالنسبة الى دولة كانت سيدة البحار في يوم من الايام ...
وسنعالج في بقية هذا الفصل هذا الاستعمار التدريجي لأوروبا من زاوية السيطرة السياسية عليها .

التعاون مع العناصر الرجعية

ان سيطرة الاستعمار الاميركي السياسية على أوروبا الغربية بدأت خلال الحرب العالمية الثانية . وتفصيل ذلك ان نضال الشعوب الاوروبية ضد الاستعمار الالماني كان ، في الوقت نفسه ، نضالاً ضد الاستعماريين « الوطنيين » الذين تعاونوا مع الغازي ، وساعدوه على استعباد الشعب .

ففي فرنسا وضعت قوى التحرير المؤيدة من كثرة السكان الكبيرة منهاجاً يهدف الى تأميم الصناعات الرئيسية وصيانة استقلال البلاد . وفي ايطاليا اقرت « لجنة التحرير الوطني » برنامجاً ضخماً ينتظم تأميم الصناعات الاساسية واجراء إصلاح جذري في ما يتصل بملكية الاراضي .

ومثل هذا التوازن في القوى حصل ايضاً في بلدان أوروبا الشرقية . فهنا سمحت الجيوش السوفياتية للقوى المناوئة للاستعمار بأن تنزل العقاب باولئك الذين تعاونوا مع الفاشستين ، وأمدت الشعب بالسلاح وبالعون الاقتصادي اللذين يمكنانه من توطيد

حكيمه وسلطاناه .

اما مهمة الجيوش البريطانية الاميركية فكانت على خلاف ذلك تماماً : ان تحول دون تحرير البلدان التي احتلتها . ومن هنا اصررت على تجريد قوى المقاومة الشعبية من السلاح ، وحملت معها قوات كانت الحكومات الرجعية المهاجرة قد جمعتها وزودتها بالاسلحة الاميركية . ليس هذا فحسب بل لقد تعاونت الجيوش البريطانية والاميركية ، في جميع المواطن التي احتلتها ، مع جمهرة السياسيين والرأسماليين الرجعيين ورفعتهم الى مراكز السلطة والحكم ...

وفي اليونان وبلجيكة جرّدت الجيوش البريطانية جماهير الشعب من السلاح ، عنوةً واقتداراً ، واقامت في الأولى نظاماً ملكياً فاشستياً بقوة الحراب . اما في فرنسا وايطالية فارتضت الجماهير ان يُنزعَ منها سلاحها ، واجريت انتخابات نيابية . ولكن الرجعيين ظلوا يحتلون المراكز الحاسمة في الدولة ...

وطبيعي ان تفقد الحكومات الرأسمالية التي نصّبها التواطؤ البريطاني الاميركي حرّيتها واستقلالها . فقد كانت خاضعة لسيطرة لندن وواشنطن ، ولسيطرة هذه الأخيرة على الخصوص بعد ان لجأت اليها في طلب المساعدة الاقتصادية والعسكرية ابتغاء إحياء مصانعها والاحتفاظ بامبراطورياتها الاستعمارية .

وإنما تمّ التمكين للقوى الاستعمارية ، في معظم اجزاء أوروبا ، بواسطة قوات بريطانية واميركية مشتركة . وقد رافق ذلك صراعٌ بين الاستعمار البريطاني والاستعمار الاميركي للسيطرة على

أوروبا . ولكن الاستعمار البريطاني كانت تعوزه الموارد المالية
والعسكرية ، فلم يكن بد من انكفائه في وجه المنافسة الاميركية .
وفي ألمانيا دُمجت منطقتا الاحتلال البريطانية والاميركية ، سنة
١٩٤٦ ، بشروط جعلت الاميركيين اصحاب الكلمة العليا بفضل
مركزهم المالي المتفوق . كذلك انقلب الاحتلال الانكليزي
الاميركي لاطالية الى سيطرة اميركية مطلقة ، وأسلم البريطانيون
اليونان للاحتلال الاميركي (مبدأ ترومان) .

ولم يدشن مبدأ ترومان سياسة العنف الاستعمارية الاميركية
في أوروبا فحسب ، بل كان نذيراً بطورٍ جديد من أطوار سيطرة
اميركية السياسية المتعاضمة على أوروبا الغربية . فلم تكف حكومة
الولايات المتحدة تتدخل في اليونان حتى اصدرت امرها بأقضاء
الشيوعيين عن جميع الحكومات المؤتلفة في البلدان الخاضعة لنفوذ
واشنطن ؛ وفي ربيع ١٩٤٧ اخرج الشيوعيون من حكومات
بلجيكة ، وفرنسة ، واطالية ، وتشيلي . وقد أتبعَت هذه الخطوة
بجملة من الاضطهاد المكشوف وجهتها تلك الحكومات الى
النقابات العمالية ، وبموجة من العنف المسلح حاول الحاكمون ان
يضعوا بواسطتها حداً لأضرابات العمال المتكررة .

تعاضد السيطرة السياسية

ويلعب مشروع مارشال دوراً كبيراً في اخضاع أوروبا
لسيطرة الولايات المتحدة . ذلك بأن جميع الحكومات التي رفعها
هذا المشروع الى دست السلطة مستعدة لأن تبني استقلال شعوبها

بجراً عند أوامر واشنطن . وإحدى الطرق المؤدية الى ذلك هي توقيع الاتفاقات غير المتكافئة .

والواقع ان الحكومة الفرنسية أذعنت لسلسلة من التنظيمات التي أوحت واشنطن بتطبيقها في ألمانيا الغربية ، والتي أدت الى تقوية العدو القديم ، الاستعمار الألماني ، على حساب فرنسا . وكذلك وقعت جميع الحكومات المشمولة بمشروع مارشال على اتفاقات منفردة مع الولايات المتحدة تنازلت بموجبها عن جزء كبير من سيادتها في الشؤون الداخلية .

وهذه الاتفاقيات تعطي واشنطن الحق في إيفاد البعثات الخاصة ذات الامتيازات الدبلوماسية الى البلدان الموقعة عليها . وتبجز لأعضاء هذه البعثات ولرجال الكونغرس ومساعدتهم ان يقصدوا الى كل مكان ، وان يشاهدوا كل شيء ، وأن يطلبوا الى حكومات تلك البلدان تسهيل مهامهم على اختلافها . والحق ان بلدان أوروبا الغربية لتفحص اليوم بالموظفين ورجال الاعمال الاميركيين الذين يهبطونها في كبرياء السيد وعجرفة المتفضل ، كما كان « السياح » النازيون يفعلون في البلدان التي اعترفت بالاستعمار الألماني فتحها . ليس هذا فحسب ، بل إن هذه الاتفاقيات تمنح حكومة الولايات المتحدة سلطة فعالة على السياسات المالية الخاصة ببلدان المشروع ، وتحظر على الحكومات الأوروبية حماية رأسماليتها من مزاحمة الشركات الاحتكارية الاميركية .

وقد حاولت الحكومة الفرنسية ان تعطل احكام اتفاقية مشروع مارشال التي وقعت عليها خوفاً من نقمة الشعب الفرنسي الذي

يضع استقلاله الوطني فوق كل اعتبار .

وقد تدهش اذا علمت ان اصغر موظف اميركي يقيم في اوروبه باسم مشروع مارشال ليستشعر انه حر في تحدي الحكومة الاوروبية التي يعمل في ظلها ، وانتقادها . وسنجتزيء ههنا بمثل واحد على ذلك . فنزولاً عند إرادة المشرفين على مشروع مارشال ، وازنت الحكومة الايطالية موازنتها وثبتت نقتها على حساب الشعب الايطالي ، ولجأت الى تدابير «توفيرية» مختلفة زادت ازمة البطالة حدةً وخطراً ، وتركت البلاد مشرعة الابواب في وجه السلع والرساميل الاميركية . ولكن واشنطون ما لبثت ان رغبت ، خريف سنة ١٩٥٠ ، في ان تشجع انتاج ايطالية الحربي ، وهي رغبة تقتضي سياسات مختلفة بالكلية . فما كان من ليون دايتون Dayton ، رئيس بعثة مشروع مارشال في ايطالية ، إلا ان شن هجوماً عنيفاً على الحكومة الايطالية لاتباعها تلك السياسات التي أمرت بها حكومته نفسها في وقت من الاوقات . ومن عجب ان الحكومة الايطالية لم تطالب باقالة هذا الموظف ، بل اكتفت بان دافعت عن مسلكها ، زاعمة انها قد عملت من قبل على انتهاج السياسة التي يطالبها دايتون الآن بانتهاجها ، وبذلك مهدت السبيل لتكييف نفسها وفق التحول الجديد في السياسة الاميركية * . وفي الوقت نفسه تقريباً هددت واشنطون بالتوقف عن شحن المساعدات التي يقضي بها مشروع مارشال الى اليونان اذا لم تقلع حكومة تلك البلاد عن «تقصيرها» في تنفيذ بعض التعليمات الصادرة

* *New York Times*, Oct. 3, 6, 1950.

اليها من ادارة المشروع . وما هي الا اسابيع معدودات حتى
أعدت تشريعاً تبنت فيه الحكومة اليونانية مطالب الولايات المتحدة .
أما في المانية الواقعة تحت الاحتلال العسكري المباشر ، وفي
اليونان الخاضعة لمراقبة « المستشارين » العسكريين والمدنيين فان
سلطان اميركة السياسي يذهب الى حد تسمية الوزراء ، ورؤساء
الوزراء ، واركان الجيش . وفي سنة ١٩٤٩ اقامت الولايات
المتحدة وبريطانية وفرنسة دولة المانية غربية تسيطر القوات المحتلة
على سياستها التشريعية والتجارية والخارجية وعلى دفاعها الوطني .

« نوحبير » اوروبية

وإنما تحاول الولايات المتحدة أن تفرض سيطرتها الاستعمارية
على اوروبا الرأسمالية كلها تحت شعار « الوحدة » الاوروبية ،
زاعمةً ان دول اوروبا المتعددة أصغر من ان تستطيع الحياة
منفردةً وأن عليها ان تندمج في دولة « أطلسية » كبرى تكون
الكلمة العليا فيها لواشنطن .

ويعقد الاستعماريون الاميركيون مقارنةً مفلوطة بين هذه
الوحدة الاوروبية والاتحاد الفدرالي القائم بين ولاياتنا الاميركية .
ذلك بان تلك الخطوة انما تمت في فترة مبكرة من الرأسمالية عندما
اندجت عناصر شعبٍ ذي اقليم مشترك ، ولغة مشتركة ، وثقافة
مشتركة ، واقتصاد مشترك ، في دولة واحدة قضى تطوّر
الرأسمالية تطوراً كاملاً بقيامها . وقد اجتازت مختلف الدول
الاوروبية هذه المرحلة نفسها منذ زمن طويل ، فمر بها بعضها قبل

الولايات المتحدة ، ومر بها بعضها الآخر بعدها بقليل .

والواقع ان لينين نادى بالوحدة الاوروبية خلال الحرب العالمية الاولى . وقد انطوت دعوته لا على دمج الشعوب ذات اللغة المشتركة واسلوب العيش المشترك في وحدة سياسية ، بل على تزوج الامم ذوات اللغات المختلفة ، والثقافات المختلفة ، والاقتصاديات المختلفة في وحدة سياسية مفردة . ففي ظل الرأسمالية لا يُعتبر دمج الامم المختلفة في دولة واحدة خطوة تقدمية ، بل خطوة رجعية . انها تنطوي من غير ريب على سيطرة الأمم الكبرى على الامم الصغرى ، وهو ضرب مقنن من الاستعمار .

والواقع ان الاستعماريين الاميركيين سعوا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سعياً حثيثاً لتوحيد اوروبا الشمالية : فاجريت محادثات لالغاء الحواجز الجمركية ، وانشاء مجلس لأوروبا ، ومنظمة للتعاون الأوروبي الاقتصادي . ولكن هذه الجهود كلها تحطمت على صخرة الخلافات القائمة بين مختلف المجموعات الاوروبية الشمالية ، وحرص الشعوب الاوروبية على استقلالها الوطني .

وقد شكاجون فوستر دولز ، احد واضعي التصاميم البارزين لفرض سلطان وول ستريت على العالم ، من هذا الاخفاق وعبر عن عزم الاستعمار الاميركي على دمج الدول الاوروبية بعضها ببعض ، زاعماً ان لنا « الحق » في ذلك « لاننا قد وظفنا رساميل هائلة في اوروبا الغربية » و « بسبب من روابط الدم التي تصل ما بين شعبنا وشعوب اوروبا . » وهو يصر على ضرورة اصطناع « الضغط القوي » للتغلب على مقاومة الشعوب لهذا المشروع ،

عاذراً اولى الامر الاوروبيين الذين صرحوا له بان شعوبهم لا تسمح لهم بان يخطوا الخطوة الأولى في سبيل الوحدة الأوروبية و « ان الولايات المتحدة يجب ان تدفعنا . » ولم يجيب دولز آمال هؤلاء الساسة فاذا هو يقول في صراحة بالغة : « ليس في وسعنا ان نتثبت في هذه الفترة الخطيرة ، باهداب الرسميات . ونحن لم نبذل ما بذلناه من جهود جبارة في الغرب ، عقب الحرب العالمية الثانية ، لنكسب مباراةً في الشعبية ... فالشعبية ، حتى لو استطعنا ان نشترىها باموالنا ، لا تستحق ان يُنفق من اجلها ٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠ دولار . ثم اننا لا نتمتع بشعبية حسنة في هذه الأيام ... اننا نرغب في ان نقوم بمهمة كاملة حتى يكون في ميسورتنا ان نتركها بعد و نوجه اهتمامنا وعوننا المادي نحو الارض المملحة في مواطن اخرى ، وبخاصة في المحيط الاطلسي والشرق الاقصى . » *

والواقع ان محاولة توحيد اوروبه على طريقة دولز واتشيسون لتقوم من وجهة النظر السياسية على اساس احياء الصناعة الالمانية العدوانية ، كما جرى بعد الحرب العالمية الاولى ، ولكن مع هذا الفرق ، وهو ان امراء وول ستريت لن يكتفوا هذه المرة باحياء الصناعة الالمانية ولكنهم عازمون على ان يفرضوا سيادتهم على الروور ، ومن ثم على اوروبه الرأسمالية كلها . والمكانة الرئيسية التي تحتلها المانية في خطط وول ستريت إنما تتجلى بشكل صارخ في تصريحات الناطقين باسم رأس المال الاميركي ، من هيربرت هوفر سنة ١٩٤٦ ، الى اتشيسون سنة ١٩٤٧ ، الى دولز سنة ١٩٥٠ .

* John Foster Dulles, *War or Peace*, p. 215, N.Y., 1950.

واسباب هذا الاهتمام كله بالمانية متعددة. فالاحتلال العسكري
الصریح يجعل منها قاعدة ممتازة للعمليات الحربية. والرساميل الاميركية
الموظفة في المانية الغربية اليوم تفوق الرساميل الاميركية الموظفة
في بريطانيا بعض الشيء ، وتبلغ اضعاف تلك الموظفة في ايما
بلد اوروبي آخر . ومن طريق هذه الرساميل ، ومن طريق
المحالفات الاقتصادية الدولية تمت لول ستريت صلات وثيقة
باصحاب المصارف والمصانع في الرور . من اجل ذلك ، وبسبب
من طاقته الاقتصادية الضخمة ، غدا الرور قاعدةً مثالية لاستعمار
اوروبه القارية برمتها . اضعف الى ذلك ان المانية الغربية هي
معقل الفاشستية والضباط النازيين الراغبين في الثأر لهزيمتهم في
الحرب العالمية الثانية ، العاملان في خدمة الخطط الاستعمارية
الاميركية لشن حرب عالمية على الاتحاد السوفياتي . وطبيعي ان
يكون الرور هو المركز الرئيسي لكل دار صناعة او ترسانة
arsenal تنشأ في اوروبه لشن تلك الحرب . ليس هذا فحسب ،
بل ان احياء الرأسمالية الالمانية في ظل وول ستريت وتحت اشرافه
خليق بان ينزل الى الميدان منافساً قوياً للاستعمار البريطاني ، وبان
يقم توازناً في القوى تستطيع الخطط الاستعمارية الاميركية ان
تخضع بواسطته الخصمين المتصارعين ، لسلطانها ، وهكذا يوضع
الاستعماريون البريطانيون ، بفضل الوحدة الاوروبية ، في مركز
يقضي عليهم بان يتنافسوا مع اصحاب الرساميل الالمانية على
شرف الحصول على لقب الشريك الصغير لول ستريت !! ...

٧ . السيطرة الاقتصادية على أوروبا الغربية



وتجري سيطرة اميركة السياسية على اوروبه الغربية جنباً الى جنب مع سيطرة رأس المال الاميركي الاقتصادية على تلك البقعة من العالم .

ومن خلال الاتفاقات والحُطط والصفقات التي وضعت بلدان مشروع مارشال تحت سلطة الولايات المتحدة تبدو للباحث بضع ظواهر عامة :

١ . لقد قصِد في كل من هذه الاتفاقات والحُطط والصفقات ، الى ضمان ربح عاجلٍ ضخم للشركات الاحتكارية الاميركية .
٢ . لقد اخذ بعين الاعتبار في كل منها إضعاف الاقتصاد الاوروبي وتقويض أساسه ، واستغلال طبقة العمال الاوروبيين استفلالاً إضافياً ، ومساعدة وول ستريت على امتلاك الصناعات الاوروبية .

٣ . ان الهدف النهائي الذي ترمي اليه هذه الاتفاقات والحُطط والصفقات جميعاً هو تحويل صناعة اوروبه الغربية الى ترسانة يسيطر عليها امراء وول ستريت ويفيدون منها في حال نشوب حرب عالمية جديدة .

وسنبحث فيما يلي بعض الخطوات الرئيسية في هذه العملية .

الطالبة في اغراض الاسواق

ان عشرات المليارات التي تألفت منها قروض الولايات المتحدة وهباتها بعد الحرب العالمية الثانية ، جعلت من اوروبه الغربية حقلاً مضموناً لاستهلاك الفائض من المنتجات الاميركية الصناعية والزراعية . والواقع ان ما بين ٦٠ الى ٨٠ بالمائة من مجموع صادرات الولايات المتحدة من الحبوب وفسق العبيد (الفول السوداني) ومنتجات النحاس والقمح والطحين والقطن والتبغ خلال التسعة الاشهر الاولى من سنة ١٩٤٩ أرسلت الى البلدان المشمولة بمشروع مارشال* .

وهذه الصادرات كلها لم ترسل الى تلك البلدان لان شعوبها في حاجة اليها ، ولكنها أرسلت لان الاحتكارات الاميركية كانت تريد التخلص منها ، على ما يؤخذ من شهادة ادلى بها الكولونيل اندروز المسؤول عن تأمين الاغذية في شعبة التموين المدني التابعة للجيش الاميركي في المانية :

الكولونيل اندروز : الحق انهم لا يستطيعون ان يبيعوا هذا الفول السوداني في الولايات المتحدة لسبب واحد وهو غلاؤه . . . انه غذاء جيد وانه لتصنع منه زيوت ودهون ممتازة ، ولكن ليس ثمة مكان على ظهر هذا الكوكب يمكن ان يرسل اليه هذا الفول

* E. C. A., 18 th Report for the Public Advisory Board, Dec., 1949. cover page.

السوداني لو لم نأخذه نحن .

النائب الجمهوري تابو (فيويووك) : يمثل ذلك السعر .

الكولونيل اندروز : أجل بذلك السعر ، ان لم يُرسل الى

المانية . لقد كان على الجيش ان يأخذه من دون سائر الناس .

النائب الجمهوري غاري (فوجينيا) : هل تعني انهم ابوا ان

يبيعوكم منتجات اخرى ما لم تشتروا فستق العبيد هذا ؟

الكولونيل اندروز : لكي نحصل على حصة من هذه الزيوت

من وزارة الزراعة اظن ان من الصواب الزعم انه كان علينا ،

عملياً ، ان نقول : « لا بأس ، سنأخذ مقداراً من فولكم السوداني . »

لقد التمس منهم ان يعطوني بعض شحم الخنزير واضرابه فكان

جوابهم : « لن نسمح بتصدير أيما كمية من شحم الخنزير ؛ ان في

استطاعتك ان تأخذ كمية من فستق العبيد . » وهكذا قلت : « اذن

أعطونا اياها ... » *

والواقع أن المنتجات الفائضة التي اغرقت بها ألمانية سنة ١٩٤٨

اشتملت على ٢٣٦،٩١٤،٠٨٦ رطلا (انكليزياً) من فستق العبيد

غير المقشور ، و ٤٤٣،١٠٩،٠٧٨ رطلا من الخوخ والعنب والتين

والدراق والمشمش المجفف و ١٠،٨٠١،٤٢٤ من العسل . وحتى

هذه المقادير كلها لم ترض اصحاب الجنائن الذين وفدوا على واشنطن

في اوائل سنة ١٩٤٩ وهددوا بقطع ٢٨ بالمائة من اشجارهم المثمرة

إذا لم تزد السلطات المشرفة على مشروع مارشال الكميات التي

* *Foreign Aid Appropriations Bill for 1950, Hearings*
cited, pp. 914-15.

تصدرها من الفاكهة المخففة .

وليس من ريب في ان موجة التصدير هذه لم تساعد شعوب البلدان الداخلة في نطاق مشروع مارشال بل اوقعت بها اذى كبيراً . ذلك انها انقصت الانتاج المحلي في أوروبا ، وضيقت نطاق الاستيراد من البلدان الاخرى . ليس هذا فحسب بل ان جماهير الشعب في الدول الاوروبية لم يكن في ميسورها ان تشتري السلع الاميركية لان السياسات التي فرضتها واشنطن ، بالتعاوان مع الاحتكارات الاوروبية ، قضت بانقاص قوة العمال الشرائية الى حد جعلهم عاجزين عن دفع الاثمان العالية المحددة لتلك السلع . وهاك مثلاً على ذلك : لقد ركّز شحن الحبوب الاميركية الى ايطالية تركيزاً متعمداً في الفترة القصيرة التي سبقت انتخابات نيسان ١٩٤٨ . حتى إذا وصلت الشحنات الى الموانئ الايطالية استقبلها السفير الاميركي والموظفون الايطاليون بحملة صاحبة من الدعاية اديرت على محور اطعام الشعب الايطالي الجائع ...

وفي كانون الثاني سنة ١٩٥٠ كشفت برقية مرسلة الى « صحيفة التجارة » *Journal of Commerce* النيويوركية النقاب عن مصير تلك الحبوب . وقد جاء في هذه البرقية ان اربعين بالمائة من الشحنات التي تلقتها ايطالية خلال الخمسة عشر شهراً الاولى من تنفيذ مشروع مارشال ظلت غير مبيعة حتى نهاية تلك المدة . وبلغت النسبة حداً اعلى من ذلك بكثير في اصنافٍ من البضائع مخصوصة ، كالحبوب والعقاقير وغيرها . وقد عاقت « صحيفة التجارة » على ذلك بقولها : « إن عجز الشعب الايطالي عن شراء قسم كبير من المنتجات

المرسلة اليه من قبل « إدارة التعاون الاقتصادي » قد خلق للحكومة
الايطالية مشكلة رواج يصعب حلها .
ولسنا في حاجة الى التأكيد أن الاحتكارات الاميركية قد
جنت أرباحاً استثنائية من هذه السياسة . فقد بيعت هذه البضائع
من شعوب أوروبا بأسعار أعلى من الاسعار العادية ، وساعد تصديرها
السخي على إيجاد جو من « القصور » shortage المصطنع في الولايات
المتحدة نفسها استغلته الاحتكارات الاميركية لرفع الاسعار فوق
مستوى القمم التي بلغت أيام الحرب طوال سنوات متعددة . . .

خبره الاجور

ومن الخطوات الأساسية في استعمار أوروبا إنقاص الأجور
الحقيقية للعمال الأوروبيين وإنقاص ظهورهم بالعمل الثقيل بحيث
ترتفع نسبة استغلالهم الى المستوى الذي بلغته في المناطق المستعمرة
ونصف المستعمرة . وفي ذلك مايفسح المجال أمام الرأسماليين
الأميركيين لانتزاع الارباح الفاحشة المألوفة من المشروعات الاجنبية .
ومما يدل على ان نية الولايات المتحدة متجهة الى خفض مستوى
العيش في أوروبا شهادة أدلى بها بول هوفمان Hoffman ، مدير
مشروع مارشال ، أمام لجنة من أعضاء الكونغرس :
« إذا اعتزمنا ان نمد أوروبا بالدولارات ، واعتزمت أوروبا
ان تبلغ ما نستطيع ان ندعوه المستوى المفلوط في العيش فعندئذ
لا تكون العاقبة خيراً . وهكذا سعيانا الى ان نقسم سقوطاً
لمستويات العيش . »

وحدد مساعده ريتشارد بيسيل Bissell ، تلك « السقوف »
على الوجه التالي : المطعم - « هنا نستطيع ان نتخذ سنة ١٩٣٨
سقفاً او حداً اعلى » ؛ المسكن - « ادنى بما كان عليه في السنوات
السابقة للحرب » ؛ الملابس وبضائع الاستهلاك - « إن استهلاك هذه
السلع يجب ان ينخفض ، في معظم الأحوال ، الى مادون المستوى
الذي كان عليه قبل الحرب على الرغم من تعاضد الحاجة اليها بسبب
من ان الأوروبيين حرموها ، او كادوا ، خلال سنوات الحرب
العجاف . » *

وهكذا قُدِّر على طبقة العمال الأوروبيين التي عانت ماعاته
طوال عشر سنوات من الازمة الاقتصادية وخمس سنوات من
الحرب ان تقاسي آلاماً اعتمق في ظل الاستعمار الاميركي الحديث !
أما الاساليب التي اصطنعها أمراء وول ستريت لكبت
مستوى العيش فتشمل تجميد الاجور (وفرضها على العمال بالرصاص
عند الاقتضاء) ورفع الأسعار ، وإتقال كاهل الطبقة العاملة في
اوروبه بالضرائب الفادحة ، والنفقات العسكرية الباهظة ، وخفض
قيمة النقد خفضاً متكرراً ...

ولننظر في النتيجة التي آلت اليها هذه الاساليب في انكلترة
- شريكة الاستعمار الاميركي الصغرى - التي لا تزال تحصل على
غنائم وافرة من امبراطوريتها الاستعمارية . ولنعتمد في ذلك
شهادة الدكتور فيتزجيرالد ، الخبير الزراعي في مشروع مارشال ،
الذي وصف حالة الغذاء في بريطانيا كما كانت في اوائل سنة ١٩٤٩ ،

* *Foreign Aid Appropriations Bill for 1950*. pp.58-59.

قبل تخفيض قيمة الجنيه ، وقبل التعبئة العسكرية التي أمرت بها
واشنطن سنة ١٩٥٠ ، فقال :

« ... إن التغيير الذي طرأ على نوعية الاغذية ليتجلى لنا إذا
ألقينا نظرةً على بعض التغيرات التي ألمت بموادّ الغذاء الفردي .
فبالنسبة الى ما كانت عليه الحال قبل الحرب نجد ان متوسط
استهلاك الفرد في المملكة المتحدة من مادة البطاطا قد ارتفع ٦٥٪
وان متوسط استهلاكه من الخبز زاد نحواً من ٢٥٪ في حين أن
متوسط الاستهلاك الفردي من اللحم والسكر والدهن والزيت
(وبخاصة اللحم) قد تدنى تدنياً كبيراً. فقد بلغ مجموع ما استهلكته
بريطانية سنة ١٩٤٨ - ١٩٤٩ من اللحم نحو ٧٠٪ مما كانت
تستهلكه في السنوات السابقة للحرب ؛ اما الآن ، وابتداء من مطلع
نيسان ، فقد انخفض متوسط استهلاك الفرد البريطاني من اللحم الى
درجة ادنى مما كان عليه في ايام وقتٍ مضى منذ اندلاع الحرب . »*

فاذا كان العمال البريطانيون يعانون من صرامة مشروع مارشال
اكثر مما عانوا خلال سنوات الحرب فليس من ريب في ان الحالة في
البلدان الاوروبية الاخرى يجب ان تكون اسوأ من ذلك بكثير .
ففي المانيا الغربية كانت نسبة الاجور الحقيقية ، في حزيران
سنة ١٩٤٩ - وفقاً لادق الاحصاءات واجدرها بالثقة - ١٣ و نصف٪
أدنى من مستوى سنة ١٩٣٨ ** وكانت آنذاك قد انخفضت الى

* المصدر السابق نفسه ص ٣٠٨ .

** Office of Military Government for Germany (U. S.),
Report of the Military Governor, Berlin, Aug.-Sept. 1949, p.124.

ما دون مستوى الازمة الذي انتهت اليه سنة ١٩٣٢ ، بفضل
تجميد هتار الأجور .

واليك صورة عن الحياة في فرنسا كما رسمها الرأسمالي البارز ،
أريك جونستون ، في مقال له :

« ليس من المبالغة ان نقول ان هوامش الربح نادراً ما تكون
اقل من ٥٠ ٪ وكثيراً ما ترتفع الى ما فوق المائة بالمائة ، ولكن
كثرة الشعب تكاد تشكو العوز والحرمان . إن الاغنياء ليزدادون
اليوم غنىً ، وان الفقراء ليزدادون اليوم فقراً . والنتيجة النهائية
لهذا الوضع يمكن ان تكون العنف - الفوضى - الشيوعية . » *

ويعترف تقرير رسمي اصدرته ادارة مشروع مارشال ان
الاجور الحقيقية في خريف سنة ١٩٤٨ انتهت الى أن تكون ، في
منطقة باريس ، دون مستوى ما قبل الحرب ، بنسبة ٥٠ ٪ .
كذلك انخفض متوسط استهلاك الطعام ١٨ ٪ ، واكثر من ذلك
بالنسبة الى العمال . ** وبعد ان يصف التقرير الاحوال البائسة التي
يعيش العمال الفرنسيون في ظلها يخلص الى القول : « وقد ادى
ذلك الى اثاره حفيظة العمال ، وهو يفسر لنا تعاظم قوة الشيوعيين
في الحقل السياسي ، وفي « اتحاد العمل العام » على السواء . »

وفي عددها الصادر في ٣١ آذار سنة ١٩٥٠ قارنت مجلة
« U. S. News and World Report » المحافظة بين الحياة المترفة التي
تجياها الطبقة الحاكمة في ايطالية وبين حياة العمال الذين يبلغ متوسط

* Eric Johnston in *Fortune*, Feb., 1949, p. 120.

** E. C. A., *France, Country Study*, Feb., 1949, p.11.

أجر الواحد منهم أربعة دولارات ونصف اسبوعياً ، وحياسة
المزارعين الذين لا يزيد متوسط دخل الواحد منهم على مائة دولار
سنوياً . *

ويتجلى لك اثر الاحتكارات الاميركية في هذا الفقر المدقع
حين تقارن ما بين نسب الأجور الاميركية ونسب الأجور
الاوروبية . ففي سنة ١٩٣٨ كانت اجور العمال البريطانيين
والألمان والهولنديين تبلغ نصف اجور العمال في الولايات المتحدة
تقريباً . حتى إذا دخلت سنة ١٩٤٩ صارت اجور العمال البريطانيين
لا تكاد تبلغ ربع اجور زملائهم الاميركيين ، في حين امست
اجور العمال الالمان خمس الاجور الاميركية ، واجور العمال
الهولنديين سدسها تقريباً . ❖❖

سحر الاقتصاد الوطني

يزعم الناطقون بلسان واشنطنون أن من همهم ان يساعدوا
الدول الاوروبية على انماء انتاجها ، في حين ان اصحاب الرساميل
المالية الاميركية يهدفون ، في الحقيقة ، الى اضعاف جميع مرافق
الاقتصاد الوطني التي يمتلكها الاوروبيون انفسهم والقضاء عليها
— وقد نجحوا في ذلك نجاحاً جزئياً — لكي يسيطروا على السوق
الاوروبية سيطرةً كاملةً ويركزوا نشاط العمال الوطنيين في

* U. S. News and World Report, Mar. 31. 1950.

❖❖ اعتمدنا في هذه الارقام على منشورات مختلفة أصدرها المكتب
الاميركي لاحصاءات العمل ، ومنظمة الامم المتحدة ، ومكتب الحكومة
العسكرية الاميركية في المانية . [المؤلف]

العمل لحساب المشروعات التي تملكها الولايات المتحدة .
والواقع ان إغراق السوق الاوروبية بالمنتجات الزراعية قد
رافقه حرمانها من المعدات الزراعية ابتغاء الحؤول دون نهوض
الزراعة الاوروبية من كبوتها. فخلال السنة الاولى من مشروع
مارشال طلبت البلدان الداخلة في المشروع ان تزودها
الولايات المتحدة بمعدات زراعية تبلغ قيمتها ٣٧٠ مليون
دولار* . فوافقت وزارة الخارجية الاميركية على إمداد بلدان
المشروع بما قيمته ١٣٣ مليون دولار . أما ما سُحن فعلاً
من هذه المعدات حتى ٣٠ حزيران سنة ١٩٤٩ فلم تزد قيمته
على ٤٠ مليون دولار . في حين بلغت قيمة ما سُحن الى
بلدان مشروع مارشال من التبغ ١١١ مليون دولار** اي
ثلاثة أضعاف قيمة المشحون من المعدات الزراعية تقريباً ، وذلك
على حساب الاسواق الطبيعية للتبغ اليوناني والتركي .

ولقيت ضروب الصناعة التي يملكها الاوروبيون معاملةً بماثلة .
ومن افضل الامثلة على ذلك محاولة وول ستريت القضاء على
شركات الزيت الوطنية وصناعات الفحم التي يملكها الاوروبيون . . .
وقد فصلنا الكلام في الفصل الثاني على توسع الشركات
الاميركية في إنتاج النفط توسعاً كبيراً ، وبخاصة في الشرق
الأوسط . ولكي تحقق هذه الشركات الربح الذي تطمع فيه من

* Committee of European Economic Cooperation, *General Report*, Vol. I. Paris, Sept., 1947 (in U. S. Dept. of State Publication 2930), p. 114.

** E. C. A., *Paid Slipments*, June, 30, 1949, p. 9.

وراء ذلك التوسع تعيّن عليها ان تحاول السيطرة على المصافي والاسواق الاوروبية ، وعلى حساب الشركات الوطنية ، والبريطانية الهولندية منها بخاصة . والحق ان مستر ويلتش امين صندوق شركة ستاندرد أويل وزملاءه الذين احتاجوا الى مبدأ ترومان لسكي يوطدوا مكانتهم في الشرق الأوسط كانوا في أمس الحاجة الى مشروع مارشال لسكي يستكملوا تلك المكانة في اوروبا . ولم يُطلّ صيف سنة ١٩٤٨ حتى كانت شركات النفط الاميركية تواجه ازمة حادة ناشئة عن الافراط في الانتاج . وعندئذ تصدر مشروع مارشال لنجدتها وإسعافها .

ومن عجب ان الشركات الاميركية تبيع نפט الشرق الأوسط في اوروبا - وهو لا يقتضيها غير نفقات دانية نسبياً - بنفس السعر المحدّد لنفت تكساس محققةً أرباحاً استعمارية فاحشة . ولسكي تفيد هذه الشركات اعظم الفائدة من اسواق مشروع مارشال المضمونة فقد عملت على مضاعفة مصافيتها القائمة في اوروبا اربعة أمثال او يزيد . وما هي إلا فترة حتى خضعت بلدان اوروبا القارية لسلطان شركات النفط الاميركية المطلق . أما الاستعماريون البريطانيون فقاوموا هذا السلطان وحاولوا ان يجدّوا ، في مطلع سنة ١٩٥٠ ، من استيراد النفط الذي تملكه الرساميل الاميركية . فما كان من أعضاء مجلس الشيوخ الاميركي ، وعلى رأسهم الشيخ توم كوناللي ، إلا ان شنوا حملة شعواء على « سياسة التمييز هذه . » ليس هذا فحسب بل لقد اتخذت تدابير اقتصادية صارمة للانتقام من البريطانيين ، فلم تمض غير اشهر معدودات حتى التقى البريطانيون

السلاح على اساس الشروط التي فرضتها الشركات الاميركية .
لأنهم لم يسمحوا للشركات الاميركية بان تستثمر نحو ٥٠ ٪ من
اسواق المملكة المتحدة فحسب ، بل فتحوا في وجهها اسواق المنطقة
الاسترلينية التي كانت من قبل موصدة دونها .

وكان لتدفق النفط الاميركي اثره التدميري السيء في صناعة
الفحم الاوروبية . ذلك ان اوروبا الفقيرة الى النفط تملك ثروة
من الفحم ضخمة . ومنطق الاشياء يقضي بان تقتصد البلدان الاوروبية
— اذا ما ارادت ان تستعيد استقلالها — في استعمال البترول
وتتفق جهداً جباراً للاستفادة الكاملة من مواردها الفحمية . ولكن
إخضاع اوروبا لمشروع مارشال قاده هذه القارة في طريق معاكسة
فاذا بالنفط يجلّ محلّ الفحم في سرعة لم يسبق الى مثلها من قبل ،
وإذا بانتاج الفحم في البلدان التي ينتظمها مشروع مارشال ينقص
في سنة ١٩٤٩ بنسبة ١٢ ٪ عما كان عليه سنة ١٩٣٧ *

الدولار يستعبر اوروبا

تذهب الدعاية الاميركية الى ان الغرض من « المعونة » التي
تقدمها الولايات المتحدة الى البلدان الاوروبية مساعدة هذه البلدان
على موازنة تجارتها الدولية وتحقيق استقرارها المالي . والواقع ان
الولايات المتحدة إنما تهدف من وراء ذلك الى ان تزيد في عدم
توازن تجارة اوروبا الدولية ، وتضعف من طاقتها المالية ،
وتفرض عليها سلطان الدولار ومصارف وول ستريت الكبرى .

* *Monthly Bulletin of Statistics*, Apr. 1950.

وإنما بدأ إضعاف الطاقة المالية الأوروبية في المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية ، عندما أكرهت انكلترا ، وفرنسة ، وهولندا وغيرها على ان تتنازل عن جزء من ذهبها و كثير مما تملك خارج بلادها من أموال ، مقابل حصولها على بعض الاسلحة والذخائر . وفي الوقت نفسه صادرت الحكومة الاميركية او الدول السائرة في ركابها الرساميل الالمانية واليابانية والاطالبية الموظفة في الخارج ، في سهولة ويسر .

واتسع نطاق هذه العملية عندما زحفت الجيوش الاميركية على اوروبا في أواخر الحرب العالمية الثانية . ذلك ان الضباط والجنود الاميركيين شرعوا يبيعون سلع الجيش من المواطنين الاوروبيين الذين كانوا في أمس الحاجة اليها . وقد بيعت هذه السلع بأسعار فاحشة وبالنقد الاوروبي المتدهور ، ثم جاءت حكومة الولايات المتحدة فكافأت ابطال هذه السوق السوداء بأن حولت محصولهم الى دولارات على أساس من الاسعار الرسمية للعملة الوطنية . واكرهت حكومات اوروبا الغربية على ان تعترف بتلك المليارات من الدولارات ديناً للولايات المتحدة عليها . وبعد مدة من الزمن انتزعت الولايات المتحدة بعض الامتيازات السياسية والاقتصادية الخطيرة مقابل شطب هذه « الديون » شطباً جزئياً .

وفي مدى سنة أو سنتين من انتهاء الحرب استنفد كامل الاحتياطي الذي خلفه الاستعماريون الأوروبيون من طريق شراء السلع من الولايات المتحدة بأسعار باهظة ، في وقتٍ عدمت فيه

أوروبا الإنتاج الصناعي الذي يساعدها على أداء قيمتها .
ووضع أمراء وول ستريت نصب أعينهم ، وهم يوزعون
قروض مشروع مارشال ، هدفاً رئيسياً هو الحؤول دون إنهاض
أوروبا من كبوتها الاقتصادية . وليس يمتري اثنان في ان تحقيق
التوازن في تجارة أوروبا الدولية يقتضيها ان تشتري أقل قدر
ممكن من السلع من الولايات المتحدة ، واكبر قدر ممكن من
السلع من البلدان الأخرى ذات المصلحة في ان تشتري من أوروبا
الغربية بعض منتجاتها وأن تبيعها شيئاً من منتجاتها في وقت معاً .
ومع ذلك فقد أكرهت البلدان الأوروبية ، بعد ان اشترط عليها
منظمو القروض الاميركية ذلك ، على ان تشارك في مفاوضات
التعريفات والتجارة التي جرت برعاية الشركات الاحتكارية
الاميركية . وكانت النتيجة التي انتهت اليها هذه المفاوضات أن
أخذ الرأسماليون الاميركيون على شكل امتيازات ، اكثر من
ثلاثة اضعاف ما أعطوا ، وأن 'فتحت في وجوههم اسواق أوروبا
وأسواق البلدان التي كان يسيطر عليها الرأسماليون الاوروبيون
في ما غير من سنين .

وأهم من هذا كله محاولة الاستعمار الاميركي القضاء على التبادل
التجاري في ما بين أوروبا الشمالية وأوروبا الاشتراكية . فبعد
ان انتزع الاستعمار الاميركي من يد المستعمرين الاوروبيين أجزاء
كبيرة من أسواقهم المستعمرة ونصف المستعمرة ، وانتزعت

* U. S. Dept. of State announcement in *New York Times*, Dec. 9, 1949.

حركات التحرر الوطني من ايديهم كثيراً من اسواقهم الآسيوية ، حاول هؤلاء المستعمرون الاوروبيون ان يعوضوا على أنفسهم من طريق التجارة مع الأسواق النامية في الاتحاد السوفياتي والديموقراطيات الشعبية . ولكن احد الشروط التي انطوت عليها اتفاقيات مشروع مارشال اكره دول اوروبه الرأسمالية على ان تقاطع العالم الاشتراكي ، اقتصادياً ، محرماً عليها ان تبيع بلدان هذا العالم شيئاً ما ، من العقاقير الطبيعية إلى الآلات الكاتبة ، بوصفها « مواد حربية » ! وعلى الرغم من ان كثيراً من الرأسماليين الأوروبيين وُفقوا إلى خرق هذا الحصار الاقتصادي الذي ضربته واشنطون على بلدان الكتلة الشرقية فقد استطاعت السياسة الاميركية ان تعطل التجارة في ما بين اوروبه الشرقية واوروبه الغربية تعطيلاً كبيراً وبذلك خنطت خطوات واسعة في سبيل ما تسعى اليه من تقويض الاقتصاد الاوروبي الرأسمالي من آسائه .

والواقع ان احد التقارير الرسمية الصادرة عن منظمة الامم المتحدة ، سنة ١٩٤٨ ، هاجم أعنف الهجوم تدخل الولايات المتحدة في شؤون التجارة ما بين اوروبه الشرقية واوروبه الغربية . وأندر التقرير بانه إذا لم تقلع الولايات المتحدة عن سياستها هذه فسيبقى الاقتصاد الاوروبي الوطني على حاله الحاضرة من العجز ، وستبقى بلدان اوروبه في حاجة ماسة الى المساعدات الخارجية * .

ومن طريق استنزاف احتياطي الذهب الاوروبي ، وتعطيل التجارة الاوروبية الدولية نجح أمراء رول ستريت في إضعاف

* U. N. *Economic Survey of Europe in 1949*, p. 164, Geneva, 1949.

العملات الأوروبية . وبقي عليهم ان يضربوا ضربتهم التي تفقد هذه العملات اعتبارها ، وتكرها على الخضوع للتخفيض المتواصل ، وتجعل الدولار وحده النقد المقبول في العالم الرأسمالي .

وفي نيسان ١٩٤٩ شنت الحكومة الاميركية هجوماً على الجنيه البريطاني . وقد جاء في صحيفة التجارة ما نصه :

« ان الولايات المتحدة تتخذ من خطر انحطاط الاقتصاد الاميركي سلاحاً قوياً في ضعفها المتكرر على الدول الاجنبية لتخفيض عملاتها ... وقد جعلت من « ادارة التعاون الاقتصادي » وسيلتها لشن هجوماً الأمامي على بلدان اوروبا الغربية أولاً . » *

وبعد ذلك بقليل قصد وينتروب آلدريتش ، وهو من رجال الـ « تشايس ناشيونال بنك » (روكفورد) ، الى لندن ليقدّم الى حكومة العمال الشروط الاميركية . ولم يكتب الاميركيون بالغاء نصف مشترياتهم من بريطانية فيحسب بل اجتأوا دفع قيمة البضائع التي سبق ان ارسلت اليهم ايضاً . ولم يكذبوا شراً من ايلول حتى اضطرّ البريطانيون الى تخفيض سعر الجنيه من اربعة دولارات وثلاثة في المائة من الدولار (٤،٠٣) الى دولارين وثمانين في المائة من الدولار (٢،٨٠) ، وتخفيض سائر عملات الكتلة الاسترلينية بالنسبة نفسها . وما هي الا فترة حتى خفضت معظم الدول الرأسمالية الاخرى قيمة عملاتها .

وفي سنتي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ كان على المملكة المتحدة ان

* *Journal of Commerce*, Apr. 4, 1949.

تزيد صادراتها بنسبة السدس عمّا كانت عليه قبل الحرب لكي
تغطي نفقات الكمية نفسها من الواردات * . اما في شباط
سنة ١٩٥٠ ، وبعد تخفيض سعر الجنيه ، فقد تعيّن عليها ان تزيد
صادراتها بنسبة الربع عمّا كانت عليه قبل الحرب لكي تغطي
نفقات الكمية نفسها من الواردات . **

وهذا التخفيض في سعر العملات الاوروبية جعل أجور
العمال الاوروبيين أرخص في حساب الدولار ، ورتخص قيمة
المصانع التي يملكها الاوروبيون فصار في ميسور الرأسماليين
الاميركيين ان يشتروها في سهولة ويسر ، واضاع ما بقي من
ثقة الناس بالعملات الاوروبية .

* *Economic Survey of Europe in 1949*. p. 98.

** *Economist Records of Statistics Supplement*, Apr. 1,
1950. p. 299.

٨ . الولايات المتحدة تراث الامبراطوريات القديمة ...



إن محاولة استعمار أوروبا لا تقف عند حدودها القارية . فجميع الخطط الاميركية الرامية الى إخضاع الدول الاوروبية تشمل مستعمرات هذه الدول وأنصاف مستعمراتها ايضاً . وكل كسب يحققه الاستعمار الاميركي في أوروبا يضعف من النفوذ الاوروبي في المستعمرات . وعكس ذلك صحيح ايضاً . فكل كسب يتم لاول ستريت في المستعمرات يجعل السيطرة على أوروبا الرأسمالية أسهل وأيسر .

والواقع أن الحرب العالمية الثانية كانت ، جزئياً ، صراعاً من أجل الاستيلاء على هذه المستعمرات واقتسامها من جديد . فاحتلت ألمانيا ، مؤقتاً ، أوروبا الشرقية وجزءاً من شمالي افريقية . واستولى اليابانيون مؤقتاً على عدة من اغنى المستعمرات البريطانية والفرنسية والهولندية والاميركية في آسيا . وعند انتهاء الحرب حاول البريطانيون والفرنسيون والهولنديون والاميركيون ان يستعيدوا مستعمراتهم السابقة ويضموا اليها غيرها على حساب خصومهم المغلوبين وعلى حساب بعضهم بعضاً .

ومهما يكن من امر فلم تستطع اي من الدول الاوروبية

ان تسترجع امبراطوريتها السابقة برومتها . فكانت اميركة هي
الدولة الاستعمارية الوحيدة التي عادت عليها الحرب بكسب ما
وقد رأينا في الفصل الخامس كيف استغل امراء وول ستريت
الحرب لانتزاع بعض القواعد العسكرية من حلفائهم والاستيلاء
على كثير من اموالهم الموظفة في ما وراء البحار . وقد ذهبوا الى
ابعد من ذلك ، في ما بعد ، على حساب حلفائهم السابقين وحساب
اعدائهم في وقت معاً .

ولكن هذه التعديلات في ميزان القوى لم تكن ابرز نتائج
الحرب واهمها . ذلك ان المكاسب التي تمت لحركة التحرر الوطني
المنافسة للاستعمار هي اعظم شأنًا وابعد اثراً .

فقد أخرجت هذه المكاسب من جريدة البلدان المنكوبة بالاستغلال
الاجنبي عدداً من دول اوروبه الشرقية وأحفل بلاد العالم بالسكان:
الصين . وانقصت غنائم الاستعمار في عدد من البلدان التي لا يزال
النضال المسلح دائراً فيها ، من مثل بورما والملايو (بريطانية) ،
وفيات نام (فرنسة) ، و كوربا والفيليبين (الولايات المتحدة) .
وإذ كانت الاستعماريون البريطانيون والفرنسيون وغيرهم
أعجز من ان ينهضوا بأعباء هذه المشكلات كلها فقد تقدمت
الولايات المتحدة لسد الثغرة ورأب الصدع ، من طريق مشروع
مارشال ، والحلف الاطلسي وغيرهما . إنها تقدم إلى حليفاتها مساعدة
حاسمة ابتغاء توطيد الحكم الاستعماري او فرضه من جديد ولكنها
تطالب مقابل ذلك بحصة كبيرة من الغنيمة الاستعمارية ، فتجانب
مطالبها في سهولة ويسر .

والواقع ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الدولار يضعف من الاحتكار المالي الذي كان اصحاب المصارف الاوروبيون يفرضونه على مستعمراتهم وانصاف مستعمراتهم. وفي ختام عام ١٩٤٩ كانت اليونان، والنرويج، واسرائيل، وايران، ومصر قد انفصلت عن الكتلة الاسترلينية وطفقت تعتمد اعتماداً مختلف قوةً وضعفاً، على بيوتات المال النيويوركية. وهذا يعني نقصاً في دخل المصارف اللندنية، ويعني ان كثيراً من التسويات الدولية يجب ان تتم بالذهب او بالدولارات بدلاً من ان تتم بالاسترليني وغيره من العملات الأوروبية.

ثم ان اعتماد الاقتصاد الاوروبي اعتماداً بعيداً على الموارد الاميركية يضعف من احتكار الرساميل المالية الاوروبية للتجارة وتوظيف الاموال في المستعمرات. وقد ظهرت هذه النزعة، اول ما ظهرت، خلال الحرب العالمية الثانية عندما اضطرت الدول الاوروبية الى الاخذ بمبدأ «الحرية والمساواة» في الحصول على المواد الاولية كشرط من شروط قانون الاعارة والايجار. ونظراً لتفوق الطاقة الاقتصادية الاميركية لم يكن في ميسور الدول الاوروبية ان تحدد من مزاحمة الاميركيين لمواطنيها إلا بأقامة حواجز خاصة. وقد اتخذت عملية تحطيم هذه الحواجز شكلاً خاصاً عقب الحرب العالمية الثانية.

وانطوت اتفاقيات مشروع مارشال على امتيازات استعمارية ايضاً. فقد ضمنت للافراد الاميركيين وللشركات الاميركية الحق في الافادة من المواد الاولية التي تكثر في المستعمرات على قدم

المساواة مع ابناء الدولة الاوروبية المستعمرة أنفسهم . وواضح ان في هذا الوضع والارباح الفاحشة التي عاد بها على اصحاب الرساميل الاميركية ما زاد في تبعية الاقتصاد الاوروبي لول ستريت وخضوعه لسلطانها .

وليس من ريب في ان عجز الدول الاجنبية عن كبت حركة التحرر الوطني من غير مساعدة اميركة وضع في يد واشنطون سلاحاً من اقوى الاسلحة وأمضاها . فبريطانية وفرنسة وهولندة محتاجة في حروبها الاستعمارية الى المساعدة الاميركية المالية ، والى الاسلحة والذخائر الاميركية ، واخيراً الى القوات المسلحة الاميركية . ولكن الاستعمار الاميركي لا يستطيع هو ايضاً ان يكسب هذه الحروب وحده . ومن هنا فان ستراتيجية واشنطون لا ترمي الى الاستيلاء المباشر على جميع هذه المستعمرات في الحال . وانما ترمي الى ابقاء اجزاء واسعة من العالم المستعمر تحت سلطة الجيوش الاوروبية الاسمية في حين تحويل الرأسماليين الاوروبيين الى شركاء ثانويين لول ستريت في هذه المستعمرات ، وفي اوروبا نفسها ايضاً .

مبدأ ترومان والشرق الاوسط

عندما تحدث ليو ويلتش عن ضرورة تصدّر الولايات المتحدة لزعامة العالم كله سارعت الحكومة الاميركية الى إثبات زعامتها هذه في منطقة الشرق الاوسط الغنية بالبترول . ففي آذار سنة ١٩٤٧ أعلن الرئيس « مبدأ ترومان » مؤكداً ان حكومته

ستتدخل ، في أيما بقعة من العالم ، «لتساعد الشعوب الحرة على تقرير مصيرها بطريقتها الخاصة» . . . ولكن تطبيق هذا المبدأ ما لبث ان اظهر مقدار ما انطوى عليه من تدليس وتضليل . فقد طلب ترومان اعتمادات ضخمة لتأييد الحكومتين اليونانية والتركية ، وكتاهما ديكتاتورية فاشستية ! .

وُذهل الشعب الاميركي كدُن سماعه بهذا التطبيق الأولي لمبدأ ترومان . ذلك ان الفظائع التي ارتكبتها الجنود البريطانيون والقوات الفاشستية اليونانية ضد الشعب اليوناني كانت قد اثارت اعظم الاستياء في الولايات المتحدة . وفي سنة ١٩٤٥ كان مستر ستاتينيوس ، وزير الخارجية آنذاك ، قد اعلن حيّدة الولايات المتحدة بين القوات الشعبية اليونانية من جهة ، والقوات البريطانية والملكية الفاشستية من جهة اخرى . حتى اذا اثبتت مسألة تدخل الولايات المتحدة في اليونان ، أول مرة ، إثارةً علنيةً قبل بضعة اسابيع من إذاعة مبدأ ترومان أصراً نفضاً من زعماء مجلس الشيوخ الاميركي ، على ضرورة إحجام الولايات المتحدة عن مد يد المساعدة الى الملكية اليونانية أو تأييد السياسة البريطانية في الشرق الاوسط . وابتدت الصحافة عطفها على القوات الشعبية باكثر مما أبدت عطفها على الملكيين . لقد نظر الاميركيون الى فظائع الرجعة الفاشستية في اليونان على انها جزء من سياسة بريطانية الاستعمارية التي يتعين على الولايات المتحدة أن لا تُشارك فيها .

والواقع أن «مبدأ ترومان» يمثل بدء تقدم الاستعمار الاميركي الى احتلال مركز الصدارة الاقتصادية والعسكرية في الشرق

الايوسط بكامله .

فقبل اعلان مبدأ ترومان كانت القوات البريطانية المسلحة تقوم بدور المدافع عن المصالح البريطانية وعن المصالح الاميركية النامية في الشرق الاوسط . ولكن الاستعمار البريطاني لم يعد في وسعه ان ينهض بهذه المهمة . ففي سنتين اثنتين أنفقت بريطانيا ٣٤٨ مليون دولار في اليونان . ولكن لا الدولارات ، ولا الثانية آلاف جندي بريطاني المقاتلون في اليونان ، ولا القوات الملكية الفاشستية المزودة بالسلاح الانكليزي ، ولا موارد « الاونرا » الاميركية استطاعت ان تقف تيار الحركة التحررية الوطنية العارم .

وفي نهاية شباط اعلمت الحكومة البريطانية حكومة الولايات المتحدة ان إخضاع الشعب اليوناني قد أعجزها وأعيابها ، وانها في حاجة الى مساعدة الولايات المتحدة في ذلك . فلم يكن من الاستعمار الاميركي الا ان اعلن استعداده لحماية مصالحه الخاصة حيثما تقضي الضرورة ، مضاعفاً ارباحه الفاحشة من طريق الحلول محل بريطانيا في المراكز الاستراتيجية ذات الخطر .

ومن وجهة النظر العسكرية تهيمن اليونان وتروكية على ثروات النفط الضخمة الكامنة في الشرق الاوسط كما تهيمن المواقع العسكرية الاميركية في بحر الكاريبيان على ثروات النفط وموارد الاغذية في الاميركيتين الوسطى والجنوبية .

وفي ٥ آذار سنة ١٩٤٧ وضع مراسل النيويورك تايمس ، سولزبيرجر ، النقاط على الحروف فقال :

« إن مصالح الولايات المتحدة في اليونان ليست مجرد عواطف .

فاليونان تتحكم في ستراتيحية المتوسط الشرقي . ولو قد أصبحت اليونان شيوعيةً إذن لانكشف جناح تركية ، سياسياً ، ولم يعد في ميسورها ان تقاوم الضغط الروسي العنيف . وبدون تركية تنهار مقاومة إيران في الحال .

« إن الولايات المتحدة مصالح اساسية في الشرق الاوسط ، لأنه في تلك المنطقة تقوم المملكة العربية السعودية ، وفي المملكة العربية السعودية من النفط ما قد يفوق الاحتياطي الذي تملكه الولايات المتحدة . » *

ولكن اليونان وتركية ليستا « القشرة الصلبة » التي تحمي امبراطورية الشرق الاوسط النفطية فحسب ، ولكنها قاعدتان حربيتان لفتوح جديدة ايضاً ، على ما يؤخذ من تصريح ادلى به المستر فورستال ، وزير الدفاع ، امام لجنة من اعضاء مجلس الشيوخ قال :

« إن المنطقة المتزامية الاطراف ما بين جبل طارق والمحيط الهندي ذات اهمية حيوية بالنسبة الى الولايات المتحدة ... أعني أنها حيوية من ناحية عسكرية اولاً ، وحيوية من ناحية اقتصادية الى حد ما في الدرجة الثانية . » **

وهكذا تخلت الامبراطورية البريطانية عن « خطها الحيوي » التقليدي للامبراطورية الاميركية ، ولاغراض حربية في الدرجة

* *New York Times*, Mar. 5, 1947.

** *Investigation of the National Defence Program*, Hearings, Special Committee U. S. Senate, 80th Congress, Part 41, p. 25290, 1948.

الاولى .

وكحصيلة ثانية by-product لهذه الاعتبارات الراسمة
حوّلت بلاد اليونان الى معسكر اعتقال للشعب اليوناني ، والى
مصدر من مصادر الربح الفاحش للشركات الاميركية .

والواقع ان هذه الشركات حكّرت السوق اليونانية حكراً
حقيقياً ، وحكّرت جميع الاعمال الهندسية الضخمة التي أجريت في
اليونان بوصفها جزءاً من الحملة العسكرية . فسيطرت « شركة التلغراف
والتلغراف الدولية » على نظام المواصلات ؛ وهيمنت « شركة التبغ
الاميركية » على أهم مورد من موارد البلاد : التبغ ؛ وحكّرت
شركة T.W.A الخطوط الجوية ؛ وتولت « شركة أولن » مهمة إرواء
أثينا وبيروس بمياه الشفة . *

ورفعت الشركات الاميركية نسبة استغلال اليد العاملة
اليونانية إلى المستوى الاستعماري . فبينما جمّدت الاجور عملياً
زادت نفقات المعيشة . ١٣٠ بالمائة في ما بين سنة ١٩٤٥ و ١٩٤٩
ليس هذا فحسب بل لقد نحت نقابات العمال وحلّ الحزب
الشيوعي بصورة رسمية .

ولكن موارد الولايات المتحدة كلها عجزت عن ان تكسب
للقاشستية اليونانية نصراً معجلاً . واخيراً حلت الهزيمة بالقوات
الشعبية ، في خريف سنة ١٩٤٩ ، وكان ذلك بمساعدة قوات تيتو
اليوغوسلافية .

* Gouvernement Démocratique Provisoire de Grèce,
Deuxieme Livre Bleu, p. 23, 1949.

وفي خلال المدة القصيرة التي استغرقتها هذا الصراع (١٩٤٧ - ١٩٤٩) انفقت حكومة الولايات المتحدة ٧٩٧ مليون دولار لاختراع الشعب اليوناني* تضاف الى ما سبق ان أنفقه البريطانيون وأنفقته « الاونزا » من أجل الغرض نفسه من قبل . ولكن الولايات المتحدة لم تكثف بما تم لها في تركيا واليونان من سلطان ومكاسب . فلم تكد دولة اسرائيل تظهر الى الوجود حتى ضمها الاستعمار الاميركي الى امبراطوريته الواسعة سياسياً واقتصادياً .

فتح افريقية

لم يسهم رأس المال الاميركي المالي ، قبل الحرب العالمية الثانية ، بغير نصيب ضئيل في استغلال الشعوب الافريقية . والواقع ان خمسة بالمائة من تجارة افريقية الخارجية كانت مع الولايات المتحدة ، وان ثلاثة في المائة من الرساميل الاجنبية الموظفة في إفريقيا كان يملكها مواطنون اميركيون ، ليس غير . وكان القسم الاكبر من الأموال الاميركية العاملة في افريقية والبالغة ٢٠٠ مليون دولار موظفاً في مشروعات شركة فايرستون للمطاط ، في ليبيريا ، وفي بعض شركات النحاس في روديسيا وجنوبي افريقية .

ولكن امراء وول ستريت المتصدرين للسيادة على العالم ما كانوا يسمحوا باستمرار هذا الوضع ، خاصة وأن إفريقيا 'تعدّ

* *Survey of Current Business*, Mar. 1949, p.20; Apr. 1950, p. 20.

المنفذ الاول لمليارات الدولارات من رأس المال الفائض، والمصدر الجديد الأفضل لمجموعة كبيرة من المواد الحربية الاستراتيجية .

وبينما يتعاون الرأسماليون الاميركيون والاوروبيون ويوحدون ما بين رساميلهم لاستغلال إفريقيا نجد ان مشاركة اميركة في هذا الاستغلال تتعارض والمطامع الاوروبية ، على العموم ، والبريطانية على الخصوص . ذلك أن الاقطاب من رجال المال والاعمال البريطانيين يأبون مقاسمة منافسيهم الاميركيين تلك الخيرات العظيمة التي يجنونها من آخر معتل بقي في ايديهم ، إلا على كره منهم واضطرار . وهم على الرغم من خضوعهم للضغط الاميركي ينفقون غاية الجهد لابطاء الغزو الاميركي لافريقية وصد تياره بمختلف الوسائل .

واتخذت الولايات المتحدة تدابير جديدة للقضاء على هذه المقاومة اثناء الحرب العالمية الثانية ، عندما مكنتها الفرصة من انشاء قواعد عسكرية وصلات تجارية في بلدان افريقية المختلفة . وفي ما بين سنة ١٩٣٨ و سنة ١٩٤٨ قفزت تجارة الولايات المتحدة مع افريقية من ١٥٠ مليون دولار ، الى ١٢٠٠ مليون دولار ، وهذا الرقم الاخير يمثل نحواً من ١٥٪ من تجارة افريقية الخارجية كلها* .

واليوم يضع مشروع مارشال وبرنامج النقطة الرابعة اسلحة جديدة ماضية في أيدي امراء وولستريت يستعينون بها على فتح افريقية . والحق ان جزءاً من اموال مشروع مارشال يصرف لتغطية نفقات الرواد

* *Foreign Commerce Weekly*, Mar. 6, 1950; *Economic Survey of Europe in 1948*, insert table; U.N. *Statistical Yearbook*, 1948, table 132

والمكتشفين الذين توجههم الولايات المتحدة ، وفقاً للتقليد الاستعماري العريق ، الى افريقية لكي يمهّدوا السبيل لشركات التعدين والحملات العسكرية . وفي تموز سنة ١٩٤٩ صار في ميسور « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تذيب في الناس : « ان الخبراء الاميركيين ، ومن ورائهم مساعدات مشروع مارشال ، يسهبون اليوم غور افريقية من جبال الاطلس حتى رأس الرجاء الصالح بحثاً عن الثروة الزراعية والمعدنية . » *

واقترضت الولايات المتحدة ثمن ذلك اتفاقات خاصة سمحت للرساميل الاميركية بالعمل في افريقية . جاء في تقرير لـ « ادارة التعاون الاقتصادي » ايضاً :

« لقد فتحت الآن تلك الابواب التي كانت موصدة في وجه الرساميل الاميركية ، فهي تسهم اليوم في إنتاج الرصاص في افريقية الشمالية الفرنسية ، وفي إنتاج الصفيح في الكامبيرون الفرنسي ، وفي إنتاج الرصاص والزنك في الكونغو الفرنسي ، وفي إنتاج النيكل في كاليدونية الجديدة ، وفي إنتاج الالومنيوم في سومطرة . »
ومن الصفقات النموذجية التي عقدها الولايات المتحدة اخيراً تلك التي قضت بان تقدم « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً معينة الى احدى شركات إنتاج الرصاص المراكشية (Mines des Zellidja) في حين تشتري شركة نيومونت الاميركية للتعدين حصّة

* *Financial Times*, London, July. 9, 1949.

** احدى جزر المحيط الهاديء ، وتقع شرقي استرالية . [المغرب]

*** E. C. A., *A Report on Recovery Progress and United States Aid*, p. 231, Feb. 1949.

في الشركة وتدير اعمالها .

وأفاد وول ستريت من تخفيض سعر العملات الاوروبية سنة ١٩٤٩ في انتزاع امتيازات استعمارية جديدة . والواقع ان المؤتمر المالي البريطاني الاميركي الكندي المنعقد بواشنطن في ايلول سنة ١٩٤٩ ، أقرّ ضرورة التعجيل في انشاء لجنة من اصحاب المصارف البارزين في تلك البلاد لتسريع توظيف الرساميل الاميركية في المستعمرات البريطانية .

وبعد شهرين اثنين انشئت لجنة بمائة من ابرز اصحاب المصارف الفرنسيين والاميركيين « لتيسير تطوير البلدان التي يتألف منها الاتحاد الفرنسي في ما وراء البحار » ... *

إن اصحاب المصارف ليسعون الى تكثيف استغلال الشعوب الافريقية . من أجل ذلك يتعين عليهم أن ينشؤوا الطرق والسكك الحديدية والموانئ التي تمكنهم من نقل مقادير اضخم من المواد الأولية . وهذا كله خليق بان يزيد في حصة وول ستريت ايضاً لان المرا كز الاوروبية يعوزها المال الضروري لتنفيذ هذا البرنامج فهي مضطرة الى قبول المساعدة الاميركية .

وفي خلال شهر حزيران ١٩٥٠ قدمت « ادارة التعاون الاقتصادي » قروضاً ضخمة لشراء معدات اميركية لانشاء الطرق ابتغاء استعمالها في الكونغو البلجيكي ، وثلاث من المستعمرات الافريقية الفرنسية ، وخمس من المستعمرات الافريقية البريطانية . وليست هذه غير بداءة . فقد وُضعت الخطط لأنشاء شبكة من

* *Journal of Commerce*, Nov. 30, 1949.

السكك الحديدية واسعة . والجرء الاميركيون يُعدّون العدة
لأنشاء خط حديدي يمتدّ على الفِ من الاميال ويصل ما بين
روديسيا ، وتانكانيكَا ، و كينيا والشاطيء الافريقي الشرقي .
وتعتزم « ادارة التعاون الاقتصادي » ان تنفق نحو مليار دولار
على تطوير وسائل المواصلات جنوبي الصحراء الكبرى . * ليس
هذا فحسب ، بل لقد اقترح احد الشيوخ الاميركيين (السناتور
جونسون) ان ترصد حكومة الولايات المتحدة عدة مليارات من
الدولارات لفتح افريقية من طريق برنامج النقطة الرابعة . وبما يلفت
النظر ان مختلف البرامج والخطط الاميركية المتصلة بافريقية
لا تكلف نفسها عناء التظاهر ، مجرد التظاهر ، بالعمل على خدمة
الشعوب الافريقية البائسة .

ومها يكن من امر فقد وفقت الولايات المتحدة الى ان
توظف ، حتى الآن ، رساميل مهمة جداً في افريقية ...
وقد تمّ جزء كبير من التوسع الاميركي في جنوبي افريقية
وروديسيا من طريق عدد من الشركات الانكليزية والاميركية .
واقدم هذه هي « الشركة الانكلو اميركية » التي اتسعت ممتلكاتها
اتساعاً عظيماً منذ الحرب العالمية الثانية .

وفي سنة ١٩٤٦ شكّل اندغام رأسمالي آخر ، لإعادة تقسيم
افريقية باسم « شركة توظيف الرساميل الاميركية الانكلو
تراتسغالية » . ولم تدخل سنة ١٩٥٠ حتى كانت هذه الشركة

* *Crown Colonist*, Apr. 1950, in *New Africa*. Capetown
May-June 1950.

الدولية قد امتلكت حصصاً ضخمةً في عشرٍ من الشركات الكبرى في جنوبي افريقية، بالإضافة الى حصص أصغر من ذلك في شركاتٍ اخرى كثيرة .

وبمعونة قروض مشروع مارشال ، تعمل شركة المعادن والمواد المعدنية ، وهي تمثل اندغام الرساميل الاميركية بالرساميل الفرنسية ، في استخراج الحديد من مناجم كوناكري ، في افريقية الغربية الفرنسية . وفي سنة ١٩٤٧ بسط اصحاب الرساميل الاميركيون سيطرتهم على شركة الاطلس المراكشية للتعدين التي تنعم بشبه احتكار لمناجم الرصاص في جبال الاطلس . كما كسبت شركة نفط الخليج (ميلون) حصةً تبلغ ٦٥ ٪ في شركة فرنسية تملك امتيازاً للنفط في تونس .

ليس هذا فبحسب بل لقد فرضت « شركة الفولاذ الجمهوري » سيطرتها على مناجم الحديد في ابيديريا مشاطرةً شركة فايرستون في امتلاك تلك الجمهورية الدمية ، وانتزعت شركة نفط الخليج امتياز البترول في موزامبيك ، المستعمرة البرتغالية القائمة على الساحل الشرقي الجنوبي من افريقية ، كما حصلت شركة سنكاير للنفط على امتياز بترولي في الحبشة .

والكثرة الكبيرة من الأورانيوم الذي تنتجه اعظم مناجم هذا المعدن في الدنيا ، منجم شينكولوبوي Shinkolobwe في الكونغو البلجيكي ، تذهب اليوم الى الولايات المتحدة .

ولن يتقضي طويل وقت حتى يؤدي احتكار وول ستريت لهذه المادة المهمة وتزايد نصيبه من تجارة الكونغو البلجيكي الى امتلاك

جزئي لمناجم الكونغو الغنية .

والحق ان غزو الرساميل الاميركية الافريقية ينتقض اوضح
النتقض اسطورة « نزع الولايات المتحدة اللإستعمارية » . ففي كل
مكان من هذه القارة تدفع الشركات الاميركية الى العمال
الافريقيين الاجور المعتادة التي تتراوح ما بين العشرين سنتاً والدولار
الواحد يومياً ، وتساند اكثر الحكومات الاستعمارية الافريقية
تعتفأ وجوراً .

ولكن شعوب افريقية لم تعد عاجزة أو غير منظمة . ذلك ان
نقابات العمال المناخلة ، وكثير منها منتظم في اتحاد النقابات
العالمي ، لتثير اليوم وعياً صحيحاً عند العمال الافريقيين . وإن في
الاضرابات التي يقوم بها هؤلاء العمال لتعبيراً صارخاً عن رغبتهم في
حياة جديدة من الحرية والكرامة . . . *

ليس هذا فحسب . بل إن القبائل المتناثرة أخذت تتحد في أمة
إفريقية عملاقة تستغرق معظم اجزاء القارة . وقد عجزت عمليات
القتل الجماعي التي يقوم بها البريطانيون والفرنسيون وقوات افريقية
الجنوبية المسلحة في مدغسقر ، وشاطيء الذهب ، وروديسيا ،
ونيجيريا ، وجنوبي افريقية ، عن كبت هذه الحركة وصدّ تيارها .

مستقبل الاستعمار في آسيا

حاول الاستعمار الاميركي ، طوال خمسين سنة ، ان يفرض
سيطرته على التجارة الصينية . وفي سنة ١٩٠٠ اتخذت حكومة

* Alpheus Hunton in *Masses and Mainstream*, Jan. 1949, N. Y.

الولايات المتحدة من الفيابين قاعدةً عسكرية وشاركت في القضاء على ثورة البوكسر (وهي انتفاضة صينية في وجه الاستعمار) ، ثم أعلنت سياسة « الباب المفتوح » التي تسمح لها بأخذ نصيبها من الغنيمة . . . وفي الخمسين السنة التي تلت ، أبدت الشركات الاميركية نشاطاً بارزاً في الصراع من اجل الامتيازات ، ولكن معظم هذه الجهود تكسرت ، برغم تأييد وزارة الخارجية الاميركية لها ، على صخرة السلطان البريطاني والياباني المتفوق في الشرق الاوسط .

وبعد الحرب العالمية الأولى تعاضم نفوذ الولايات المتحدة في الصين وأخذ مواطنوها يمثلون في تلك البلاد دور السادة الاجانب ، شأن البريطانيين والفرنسيين واليابانيين . كذلك خفرت سفنها الحربية نهر اليانغتسي وساعدت على قمع ثورة ١٩٢٥ - ١٩٢٧ . وازدادت الرساميل الاميركية الموظفة في الصين ولكنها ظلت أقلّ من الرساميل البريطانية واليابانية الموظفة فيها .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية فمنحت الولايات المتحدة تفوقاً عسكرياً مطلقاً على الاستعمار البريطاني والياباني في الصين . كانت القوات الاميركية تحتل المرافئ ، وكانت القاذفات الاميركية تربض في المطارات ، وكان الضباط الاميركيون يقودون جيوش شيانغ كاي تشيك . ليس هذا فحسب ، بل لقد غدت الخزينة الصينية تعتمد اعتماداً كلياً على الخزينة الاميركية ، وصار في ميسور الموظفين الاميركيين ان يقرروا ما الذي ينبغي للصين ان تشتريه ، وما الذي ينبغي لها ان تباعه ، وبأية شروط .

وهكذا بررت سياسة الباب المفتوح نفسها ، آخر الامر . فقد
فُتحت ابواب الصين على مصاريحها في وجه الرساميل الاميركية
وأوصدت من دون المنافسين جميعاً .

ولكن النصر جاء متأخراً جداً . ذلك لان الشعب الصيني كان
قد بنى قوة تحررية تكفل له الفوز على الاستعمار والمستعمرين
جميعاً .

والحق ان حكومة الولايات المتحدة أنفقت ستة مليارات
دولار للاحتفاظ بسيطرتها على الصين ، ولكن عبثاً .

وطوال سنة ونصف بعد استسلام اليابان دربت الحكومة
الاميركية قوات شيانغ كاي تشيك وأمدتها بالسلاح ، في حين كان
الجنرال مارشال يفاوض القوات الشعبية الديموقراطية ...

وفي نهاية سنة ١٩٤٦ أتمت الولايات المتحدة استعدادها لحوض
غمار الحرب في الصين ، فقطعت المفاوضات وقصد الجنرال مارشال
الى واشنطن حيث أسندت اليه وزارة الخارجية . وما هي إلا
فترة حتى دُشن مبدأ ترومان بالهجوم على الشعب اليوناني في
اوروبه ، والهجوم على الشعب الصيني في آسية . واذا كان مبدأ
ترومان قد حاز في اليونان نصراً غير راهن فان اخفاقه النهائي
الحاسم في الصين كسف هذا النصر الهزيل كسفاً كاملاً . ذلك ان
الشعب الصيني انزل بحكومة شيانغ كاي تشيك هزيمة قاصمة أفقدت
ممثلي الرساميل المالية الاميركية صوابهم .

ومنذ ذلك الحين ونحن نتذاكر في العوامل التي أدت الى
خسارتنا للصين . وما يلفت النظر ان الكتاب الابيض الذي أصدرته

وزارة الخارجية الاميركية عن الصين يسلم بأن هزيمة شيانغ كاي تشيك جاءت تعبيراً عن ارادة الشعب الصيني - «ثمره القوى الصينية الداخلية التي حاولت هذه البلاد ان تستميلها ولكنها لم توفق الى ذلك .» * اما نظام الكومنتانغ فينص الكتاب الابيض على « ان زعماءه اثبتوا عجزهم عن مواجهة الازمة التي واجهتهم ، وأن قوائمه فقدت إرادة القتال ، وأن حكومته خسرت تأييد الشعب . » *
وأدت الحرب العالمية الثانية الى تحرير مستعمرات آسية الجنوبية الشرقية التي سبق لليابانيين ان احتلوها ، تحريراً جزئياً مؤقتاً . ذلك بأن قوات التحرر الوطني التي يقودها الشيوعيون ساعدت على هزيمة الجيوش اليابانية ، وأقامت بعد الحرب حكماً مدنياً .
ولكن الاميركيين والبريطانيين أعدوا العدة لفرض الحكم الاستعماري من جديد على تلك الأصقاع ، حتى في خلال الحرب العالمية الثانية . فقد أرسلوا مقادير هائلة من الاسلحة الى الهند واورستالية . ولم تستعمل الكثيرة المطلقة من هذه الاسلحة ضد اليابانيين ولكنها اشخرت حرب مؤجلة ضد الشعب . والواقع ان عشرات الالوف من الجنود الهولنديين والفرنسيين قد دربوا في الولايات المتحدة وفي القواعد العسكرية الانكليزية الاميركية الواقعة ما وراء البحار ، للاشتراك في الحملات الاستعمارية المقبلة .
وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها توزع

* U.S. Dept. of State, *United States Relations with China*, p. XVI, 1949.

* المصدر السابق نفيه ص XIV .

الاستعماريون مهمة سحق حكومات الشعب الناشئة في الشرق الاقصى . فتولى الجيش الاميركي هذه المهمة في الفيليبين و كوريا؛ وتولاها البريطانيون في الملايو ، وكذلك في اندونيسيا ريثما اتم الهولنديون استعدادهم للنهوض بعبء المسؤولية هناك ؛ أما فرنسا فصبت جام غضبها على الفيات نام .

وقد اتسمت هذه الحملات الاستعمارية جميعاً بأقصى الوحشية وتولت حكومة الولايات المتحدة امر تمويلها ومدّها بالاسلحة والذخائر وتأييدها تأييداً ديبلوماسياً .

ولكن ذلك كله لم يتمّ من غير ما مقابل . فعقب كل مساعدة تبذلها حكومة الولايات المتحدة في إعادة استثمار آسية - بخطو وول ستريت خطوة جديدة في سبيل تحقيق مطالبه التقليدية التي تتلخص في سياسة الباب المفتوح ، فيحطم احتكار المالكين السابقين ويضمن لأمرائه نصيباً من الغنيمة .

ولكن مكاسب الاميركيين في آسية - باستثناء اليابان - تظلّ ضئيلةً بالقياس الى مكاسبهم في بقاع العالم الأخرى . والواقع ان موجة التحرّر الوطني التي تغمر تلك القارة تتهدد المصالح الاميركية بأعظم الخطر . يدلّك على ذلك ان شركة فورد لصنع السيارات صرفت النظر ، مؤخراً ، عن انشاء ما كانت تعترّم انشاءه من إقامة مصنع لتجميع السيارات في سنغافورة بسبب من « الاحوال السياسية غير المستقرة » . اذ ما الفائدة من تشييد المصانع ، وحفر المناجم ، والعناية بالمزارع اذا كان الشعب سيصادرها في وقت قريب ؟ إنّ كل همّ الاستعماريين الآن

هو ان يعيقوا ذلك ما استطاعوا الى الاعاقة سبيلاً .
وفي غمرة من خيبة الأمل يعتزم الاستعمار الاميركي استعمال
القوة في حرب يشنها على آسية بكاملها . فهام البريطانيون يكادون
يرزحون ، عسكرياً ومالياً ، تحت عبء الكفاح في الملايو . وها هي
واشنطن تأخذ أهبتها لذلك اليوم الذي ينفذ فيه البريطانيون
أيديهم منها ، فعلمهم في اليونان ، ويدعون الاميركيين للنهوض
بـ « عبء الرجل الابيض » .

ومثل هذا الوضع يكاد ينشأ في الهند الصينية أيضاً . ذلك أن
المستعمرين الفرنسيين عجزوا عن إخضاع الشعب بمئة وخمسين الفاً
من القوات المسلحة ، وبنصف مليار دولار من النفقات سنوياً .
فوجهوا وجههم شطر الولايات المتحدة يلتمسون منها السلاح
والمال . وهنا تقدم دين اتشيسون « لاسترهان » الهند الصينية
فوافق على تقديم السلاح لإخضاع الشعب الهندي الصيني ولكن
بشروط . وهكذا قصدت البعثات العسكرية الاميركية وبعثات
مشروع مارشال الى الهند الصينية لتشرف على تقديم المساعدات
وتراقب طرق الافادة منها . وعلاقة هذه البعثات منحصرة
مبدئياً بالضباط الفرنسيين ولكنها تتصل ايضاً اتصالاً مباشراً
بـ « باوو داي » الذي باع نفسه للفرنسيين وبذلك يتعاضم
« استقلال » باوو داي - يعني ان اعتماده على المستعمرين الفرنسيين
يتناقض ، ولكن اعتماده على المستعمرين الاميركيين يتزايد
تبعاً لذلك .

وفي هذه المحاولة اليائسة التي تقوم بها الولايات المتحدة لوقف

تيار الوطنية العارم في آسية ، يبراد لليابان ان تمل دوراً شبيها
 بدور المانية في اوروبة. وليس ذلك عجيباً ، فاليابان ابعد الاقطار
 الاسيوية إمعاناً في التصنيع ومن هنا فهي اكثرها ملاممة لكي
 تكون ترسانة او داراً للصناعة arsenal ؛ والصلات بين الرساميل
 المالية الاميركية واليابانية كانت وثيقة جداً قبل الحرب العالمية
 الثانية ، وقد اشتهرت شركات وول ستريت كثيراً من اسهم
 التروستات اليابانية منذ ذلك الحين . وهذا ما يفسر لنا توعية الولايات
 المتحدة إلى توطيد اركان احتلالها لليابان ، وإزالة أجهزها استطاعت
 الى ذلك سبيلاً ، في حين تعتمد الى اعادة تسليح العسكريين
 اليابانيين وتعزيز سلطتهم . وقد عبّر م . ن . روي M. N. Roy
 عن مخاوف الشعوب الآسيوية جميعاً حين قال . « من الامور
 المفروغ منها في طوكيو اليوم ان الجيوش اليابانية سوف تحارب
 في كل مكان ، حالما تندلع نار الحرب الجديدة ، بوحفها قوات
 مرتزقة تعمل لحساب الاميركيين . » *

غزو كوريا

وفي حزيران ١٩٥٠ بدأت في كوريا مرحلة جديدة من مراحل
 التدخل الاستعماري الاميركي في آسية ، أعني استعمال القوات
 الاميركية المسلحة في الهجوم على الشعوب الآسيوية الناهضة . ففي
 النصف الجنوبي من كوريا الذي احتلته القوات الاميركية بعد
 الحرب العالمية الثانية كان المستعمرون قد اقاموا حكومة من اكثر

* National Standard, Bombay, Oct. 6, 1950.

الحكومات رجعيةً واستسلاماً في آسية كلها : حكومة سينغمان ري الذي مكّن ضباط الجيش الاميركي ورجال الشركات الاميركية من كل ما في بلاده من مرافق وثروات ، ونظم جيشاً اقطاعياً للقضاء على حركة الشعب الكوري الوطنية .

وبلغ من كراهية الشعب الكوري لنظام سينغمان ري ان هُزم حزبه ، رغم الارهاب ورغم قانون الانتخاب الفاسد ، هزيمة منكرة في انتخابات نوار سنة ١٩٥٠ * ، ولكن ري تحدى المجلس الجديد واحتفظ بالسلطة الديكتاتورية . وقبيل برلمان كوريا الجنوبية الدعوة التي وجهها اليه برلمان كوريا الشمالية لبحث فكرة اندماجها وتشكيل حكومة موحدة . وهكذا اتضح لول ستريت

* القى سينغمان ري تسعين من مرشحي خصومه في غياهب السجن وسمح لاقل من ثلاثين بالمائة من الشعب بالتصويت . ومع ذلك فلم ينجح غير ٤٨ من مرشحيه مقابل ١٦٢ من مرشحي خصومه وكانت كثرتهم تؤيد الاتحاد السلمي مع كوريا الشمالية . [المؤلف]

** ويبدو ان سينغمان ري يعيش اليوم الرواية نفسها بمناسبة قرب انتخابات الرئاسة . ففي ٧ حزيران ١٩٥٢ كتبت « الديلي تلغراف » تصف الوضع في كوريا الجنوبية قائلة :

« عندما يصل اللورد الكسندر والسترلويد الى كوريا سيريان بأمر العين هذه الحالة المؤسفة التي وصلت اليها كوريا الجنوبية . . . وتواجه هيئة الامم مشكلة محيرة بسبب اعلان سينغمان ري الاحكام العرفية واعتقاله خصومه السياسيين (١٢ نائباً) واستهزائه المكشوف بالدستور ومناوراته الديكتاتورية وتهديده بسحب جنوده من خطوط القتال وعدم ميالاته بتصائح حلفائه . . . ومهما يكن من امر فان الحلفاء لم يتحملوا ما تحملوه في تلك البلاد مدة سنتين ليسوا في النهاية وسيلة لتحقيق الاطماع الديكتاتورية . . . » [المغرب]

ان الحكومة الدائمة التي اقامها امست معدودة الايام . فلم يكن
من الاميركيين الا ان هرعوا لانقاذ سينغمان ري من طريق
اغرائه بالعدوان على جمهورية الشعب الديموقراطية في الشمال .

والواقع ان الجنرال روبرتس ، رئيس البعثة العسكرية
الاميركية في كوريا صرح قبل هجوم قوات سينغمان ري على
كوريا الشمالية بثلاثة اسابيع ، قائلاً :

« ان دافع الضرائب الاميركي يملك في كوريا جيشاً هو حارس
امين على الاموال الموظفة في تلك البلاد... وان البعثة العسكرية
الاميركية في كوريا لمثل حي يريكم كيف يقوى « توظيف »
خمسمائة رجل وضابط اميركي ، من أولي العزم ، على تدريب مائة
الف رجل ينهضون بعء اطلاق النار من أجلكم . » *

وصرح كيم ايل سوك ، وزير الداخلية السابق في حكومة
سينغمان ري ، بقوله :

« يعرف الناس جميعاً ان سينغمان ري قصد في ربيع هذا العام
الى اليابان ، بدعوة من مارك آرثر ، حيث تلقى من القائد الاميركي
امراً بوضع قواته تحت تصرف هذا الاخير عندما يُشن الهجوم على
كوريا الشمالية... وقد قُدمت الى سينغمان ري توكيدات بأن
سلاح الطيران الاميركي والاسطول الاميركي سيهرعان الى
مساعدته ، حالما يقوم بهجومه على الشمال ، وان جيشاً من المتطوعين
سيقد عليه من اليابان ، وبذلك يستطيع ان يكسب الحرب منذ

* Marguerite Higgins in *New York Herald Tribune* ,
June 5, 1950.

اللاحضلة الاولى من غير ريب . وفي ضحى الخامس والعشرين من حزيران من تلك السنة ، اصدر سينفهان ري امره بالقتال . «*
واحدث تدخل اميركة العسكري في كوريا استياء عميقاً في البلدان الآسيوية واستنكرته شعوبها استنكاراً كبيراً . وقد علقت صحيفة « لو كناو هيرالد » الهندية على هذا الحدث بقولها :

« لقد اعترفت الولايات المتحدة جدياً ان تحمل محل بريطانية في النهوض بعبء الرجل الابيض . . . والواقع ان الخطوة التي خطتها الولايات المتحدة [في كوريا] ليست غير ضامنة للسلم العالمي فحسب ، بل هي تهديد راهن له ، وكلما ادرك العالم ذلك كان خيراً وأبقى . . . اما كل هذا الحديث عن الحرية وعن استقلال البلدان الصغرى فلا يعدو ان يكون دعاية خالصة . . . » †

وهكذا فأن بدء العدوان الاميركي الصريح في آسية قد انتهى الى هزيمة سياسية من الطراز الأول لول ستريت . أما نتيجته العسكرية فقد قوّضت أركان الاسطورة القائلة بتفوق الرجل الابيض على الرجل الملون .

ولكن كيف استطاع الجنود الكوريون أن يردوا الصاع صاعين للجيش الاميركية المتفوقة عليهم بالسلاح ، والمؤيدة بقوات البحر والجو ؟

إن السبب الاساسي غايةً في الوضوح . لقد كانت الجنود الكوريون يقاتلون ذوداً عن استقلالهم الوطني وعن الارض التي

* Quoted by Jacob A. Malik at U. N. Security Council, Aug. 12, 1950.

†† Quoted in *New York Herald Tribune*, July 21, 1951,

حرثوها هم وأسلافهم طوال مئات من السنين . أما الجنود
الاميركيون فلم تكن لهم مصلحة في حرب 'تشن' في اراضٍ اجنبية
لغير ما سبب يستطيعون أن يفهموه . صحيح ان ماك آرثر كسب
انتصارات عسكرية موقته بأن ألقى بكامل قواته البرية والبحرية
في الميدان الكوري . ولكنه عجز عن إخضاع البلاد وشعبها
إخضاعاً حقيقياً ، ليقنع باحتلال المدن الرئيسية ونخطوط المواصلات ،
شأن المستعمرين الفرنسيين في الهند الصينية اليوم ، وشأن المستعمرين
البريطانيين الذين قاوموا الثورة الاميركية الاستقلالية منذ مائة
وخمسٍ وسبعين سنة .

واضطر الرئيس ترومان والجنرال ماك آرثر الى ان يلتصقا ،
مع احلافها الاوروبيين ، الغوث والعون . وتعاضمت الحسائر
الاميركية في كوريا تعاضماً يذكّر بأيام الحرب العالمية الثانية .
وزيدت الموازنة العسكرية زيادةً بالغةً تضاعفت معها أرقامها .
وهذا كله في حربٍ 'تشن' ضد ثلاثة في المائة من سكان الشرق
الأقصى ...

فأي ثمنٍ ستدفعه الولايات المتحدة اذا ما سمحت لحكامها بتوسيع
نطاق الحرب حتى تشمل الصين والهند الصينية والفيليبين ، وتستغرق
شعوب آسية الجنوبية الشرقية بكاملها ؟

الفهرست



صفحة

- ٣ مقدمة بقلم الدكتور جورج حنا
- ١٢ ١. نشوء الاستعمار الاميركي
- ١٤ جذور التوسع الاستعماري
- ١٩ طرائق التوسع الاستعماري
- ٢٣ أشكال الحكم الاستعماري ونصف الاستعماري
- ٢٧ ٢. امبراطورية وول ستريت
- ٣٠ شركات النفط المتحدة تقسم العالم في ما بينها
- ٣٦ الامبراطوريات الصناعية
- ٣٧ نظام المحالفات الدولية الاقتصادية

- ٤٠ امبراطورية المصارف
- ٤١ الامبراطورية الاقليمية
- ٤٦ .٣ وول ستريت ومأساة الزوج
- ٤٩ استغلال الزوج استغلالاً فاحشاً
- ٥٥ مظاهر الاضطهاد السياسي
- ٦٠ .٤ النقطة الرابعة والدول غير المتطورة
- ٧٠ .٥ ستراتيجية السيطرة على العالم
- ٨٧ .٦ محاولة استثمار أوروبا
- ٨٩ أسلوب الفتح التدريجي
- ٩٠ التعاون مع العناصر الرجعية
- ٩٢ تعاضم السيطرة السياسية
- ٩٤ «توحيد» أوروبا
- ٩٩ .٧ السيطرة الاقتصادية على أوروبا الغربية
- ١٠٠ المبالغة في اغراق الاسواق
- ١٠٣ خفض الأجور

١٠٧ سحق الاقتصاد الوطني

١١٠ الدولار يستعيد اوروبا

١١٦ .٨ الولايات المتحدة تراث الامبراطوريات القديمة

١١٩ مبدأ ترومان والشرق الاوسط

١٢٤ فتح افريقية

١٣٠ مستقبل الاستعمار في آسيا

١٣٦ غزو كوريا

صدر حديثاً

عن دار العلم للملايين



- اسرائيل جريميتنيا (من السلسلة السياسية) للدكتور بوروز ١٠٠
انا عائذ من مرا كاش » » لروم لاندو ١٠٠
ترجمان هتار يتكلم » » للدكتور بول شميت ١٠٠
وطنيون واورطان للدكتور اديب نصور ٢٠٠
الدستور والدمقراطية للدكتور صبحي المحمصاني ٦٠٠
ضجة في صف الفلسفة للدكتور جورج حنا ١٠٠
النقد الجمالي و اثره في النقد العربي للآنسة روز غريب ٢٥٠